الأدب من زاوية فلسفة الحضارة :

تيّارات شعرنا الحديث باعتبارها مواقف حضاريّة

بقلم : محمد جابر الانصاري

نظرة التحدي والجواب .

تقوم نظرية المؤرخ البريطاني المعروف « ارنولد توينبي » في فلسفة التاريخ على اساس ان مبدا « التحدي والجواب » هو القوة المحركة لسير التاريخ وتطور الحضارات . ويجيء التحدي الحضاري في صورة صعوبات معينة تواجه جماعة انسانية فيما يتعلق بنوع حياتها واتجاه مصيرها . فتبتدع تلك الجماعة حلولا معينة لمواجهة الصعوبات المعترضة .. فتكون حلولها هذه — وهي حلول تاريخية طويلة الامد — هي الجواب الذي واجهت به ذلك التحدي .

فمن التحديات التي واجهت الامة العربية : صرامة الحياة الصحراوية المجدبة مثلا .. ونحن نعرف طبعا ان جواب الامة العربية على هذا التحدي كان اقامة الحضارة العربية الرائعة في تلك البقعة الشاسعة الخصيبة الممتدة بين مراكش وبغداد ...

انواع التحديات الحضارية

والتحديات اما ان تكون طبيعية كضراوة المناخ والبيئة، واما ان تكون بشرية كعمليات الغزو الكبرى او الاحتكاك الثقافي او التجاري بين شعبين مختلفين او اكثر .

ومن الواضح ان الحضارة القائمة اليوم في العالم هي نتاج الاحتكاك والتبادل بين شعوب مختلفة من شرقية وغربية .

وفيما يختص بمواجهة تلك التحديات فان الامة تلجأ الى حل واحد بعينه وانما تنوع في حلولها واستجاباتها ومن هنا يأتي التنوع الحضاري في نطاق الامة الواحدة .

انعدام التحدي يميت الحضارة .

ويلاحظ ان الامة العربية بعد ان استنفدت طاقاتها في رد الغزوين الصليبي والمغولي استسلمت للحكم العثماني الذي كان السبب الرئيسي في تأخير احتكاكها بالحضارة العلمية الجديدة التي اخذت تترعرع في الغرب والتي بدأت اصلا بفضل جهود العرب انفسهم في ميدان العلوم .

وقد تقدم الغرب — خلال خضوع العرب للترك — تقدما هائلا في ميادين الحياة كافة بينما اخذت الامة العربية تفقد بالتدرج مستواها الحضاري الرائع الذي بلغته في العصر العباسي . وتوقف عندها الابداع واستنامت الى التقليد الاعمى وظهر التزييف في كل ميدان : ميدان الروح والاخلاق ، ميدان الشعر والادب ... وحتى ميدان الفن المعماري ! فالذي يقارن مقارنة عاجلة بين مستوى الشعر — مثلا — في عصر المتنبي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومستواه في عصر الاتراك يرى الفارق عظيما ويتبين ان العرب قد تقهقروا بشكل واضح عن المواقع الحضارية التي بلغوها قبل ان يضيعوا في دوامة الامبراطورية العثمانية المنفلشة .

التحدي الجديد .

يقول اديب مؤرخ واصفا ظاهرة الاحتكاك الاولى بين العرب والحضارة الحديثة : « غزا نابليون مصر سنة ١٧٩٨ ، وليس من شأننا ان نعرض لهذه الغزوة الا من ناحيتها الادبية . فان الجماعة العلمية التي صحبت هذا القائد لم تصدها القلاقل والحروب عن غرس بذور الحضارة ، فانشأوا مدرستين وجريدتين ومسرحا للتمثيل ومجمعا علميا ومكتبة ومطبعة ومعامل كيمائية ومراصد فلكية وسهلوا للناس النظر اليها والوقوف عليها . فكان صنيع هذه الجماعة اشبه بالقبس الوضاء سطع في ذلك الغيهب الذي احلولك فبدده واستطاع الناس ان ينظروا . ولكن ماذا راوا ؟ راوا انهم في القرن التاسع عشر وان الغرب واقف منهم موقف الانسان العاقل من الحيوان الاعجم يرميهم بنظرات السخرية وهو دائب في سبيل الحياة الصحيحة ، مجد في تذليل المادة .. فبهتوا ودهشوا .. »

وهذا الكلام الذي يقوله الاديب المؤرخ هنا يتلاءم بصورة واضحة مع نظرية « توينبي » التي اشرنا اليها .

فعملية التحدي التي حدثت هي ان امة كانت تتصور ان مستواها هو ارقى المستويات وحضارتها ارقى الحضارات فاذا بها تكتشف بعد طول استسلام ان امما كثيرة قد سبقتها بشكل حاسم في جميع الميادين . بل ان هذه الامم استطاعت ان تحتل اراضيها فاذا بنابليون يصل الى مصر وعكا واذا بالجيوش الروسية والافرنسية تدخل عاصمة الخلافة العثمانية نفسها عدة مرات .

في عملية الاحتكاك المفاجئة غير المتكافئة هذه التي حدثت بين العرب واوروبا والتي شكلت تحديا صارخا للعرب يمس كيانهم وحضارتهم وعقائدهم وادابهم وطريقة عيشهم كان لا بد من صواب تقدمه الامة العربية ازاء هذا التحدي التاريخي الكبير ...

استجابة العرب للتحدي .

ان كل ما نشهده اليوم من نهضة شاملة متنوعة ، متعددة الجوانب انما يشكل جزءا من جواب العرب على ذلك التحدي .

وحركة الادب العربي المعاصر بكل تياراتها وبكل تنوعها الفني الخصب ما هي الا جانب من عملية الاستجابة الكبرى . وهي بالذات — اي الحركة الادبية — جواب على تحدي التفوق في الاداب الاوروبية .. بعد ان ظل العرب لفترة طويلة يتوهمون انهم وحدهم ارباب الفصاحة والبيان وانهم وحدهم مبدعو الشعر الرائع الرفيع !

والملاحظ ان حركة الادب العربي الحديث لم تكن حلا ذا واجهة واحدة او جانبا واحدا .. بل كانت حلا غنيا خصيبا اظهر من التيارات المتعددة ما يدل على التنوع والاصالة .

وقبل ان نعدد التيارات المختلفة وميزاتها الهامة وعلاقاتها ببعضها نود ان نسير قدما في تحليل عملية التحدي والاستجابة نظرا لاهميتها القصوى وارتباطها الوثيق بما نحن بصدده ، وايمانا منا بان الادب كغيره من مظاهر الثقافة والحضارة يجب ان ينظر اليه بالمنظار الحضاري الاوسع لا بمنظار الظروف الضيقة والاحداث التافهة والحالات الفردية الجزئية .

تنوع ردود الفعل

عندما تفاجأ الامة بحضارة جديدة متفوقة عليها ماديا وفكريا تقرر الوقوف في وجهها لاثبات شخصيتها وتاكيد كيانها والمحافظة على عقائدها ونظمها في الحياة . غير ان ردود الفعل تكون مختلفة متنوعة . فجماعة من الامة تقرر الرجوع الى الماضي والتمسك به باعتباره الطريق الاوحد للخلاص على اساس ان الحضارة الجديدة الوافدة رجس من عمل الشيطان . وهذه الجماعة تتمسك بالقديم كله وتابى الجديد كله وتعيش مرتاحة الفكر والنفس بينما يمزلها قانون التطور تدريجا عن سير الحياة حتى تنقرض ..

ثم تقرر جماعة اخرى في الامة ان افضل الحلول يكمن في الاحتفاظ بجوهر التراث القديم والاستفادة من الوافد الجديد قدر ما تقتضيه الضرورة ومتطلبات التقدم . الا ان هذه الجماعة الثانية تقع في مشكلة كبيرة جديدة هي على وجه التحديد : كيف يمكن تحديد جوهر التراث ؟ وكيف يمكننا ان نقرر ما هو الضروري في الحضارة الجديدة لنقتبسه .. وهل يمكن الفصل — في خاتمة المطاف — بين ضروري وغير ضروري فيما يتعلق بمظاهر الحياة ومعطيات الحضارة ؟ وعلى اسس هذه المعضلة تتوزع هذه الجماعة الى فئات متعددة تتقارب احيانا وتتباعد احيانا اخرى ...

وبجانب الجماعتين المذكورتين تنشأ جماعة ثالثة تقول بالجديد الجديد وتنفر من كل قديم وتحاول ان ترمي

١

بنفسها في احضان الحضارة الوافدة باي ثمن .

يحدث كل ذلك في فترة مخاض اليمة تضيع فيها المقاييس فتختلط القيم وتتهاوى سواء كان ذلك في ميدان الدين والاخلاق او الفنون او الاداب ..

ثم تتضح معالم التكون الجديد وتأخذ الامة في صياغة شخصيتها الحديثة على اسس ترتضيها لنفسها فتعود المقاييس الى نوع من الثبات ويتغلب تيار مسيطر يكون الاكثر تلاؤما مع الشخصية الجديدة للامة ومع اخلاقيتها الجديدة .

ولو طبقنا هذا الكلام النظري على واقع الامةالعربية بعد احتكاكها الاول المشهود مع الحضارة الاوروبية لوجدنا الدليل العملي على مدى مطابقته لمجرى الاحداث .. ولعل في استعراضنا لتيارات الادب العربي المتباينة خير تطبيق لما اجملناه نظريا ..

دراسة الادب حضاريا

يدرس الادب احيانا على اساس عصوره وهذه دراسة تاريخية . واحيانا على اساس شخوصه وهذه دراسة نفسية واحيانا على اساس اقطاره وتلك دراسة بيئية .. ويدرس في بعض الاحيان على اساس تياراته ومدارسه ومذاهبه وهذه دراسة فكرية ـ فنية ـ حضارية .

ان التيار السائد في ادب ما في فترة ما انما هو موقف حضاري تجاه مشكلة قصيرة فالتيار التقليدي المحافظ في الادب ـ على سبيل المثال ـ انما هو موقف مع حضارة ضد حضارة ودفاع عن نظرة معينة للحياة وعن وجهة نظر في الفكر وعن قيم فنية محددة .

وامامنا ونحن نتأمل نتاج الادب العربي الحديث حشدا هائلا من الشخصيات والمؤلفات والدواوين فكيف يمكننا ان نصنف كل ذلك حسب نظام منطقي مفهوم وعلى اساس فهم حضاري متكامل لجوهر هذا النتاج الذي انتجته امة معينة تمر بفترة مخاض خاصة ؟

شعرنا بين اتباع وابتداع

لو استعرضنا تيارات الشعر العربي جميعا لوجدنا ان تلك التيارات رغم تعددها يمكن ان ترد الى مدرسة كلاسيكية واخرى رومانسية .. او بعبارة ادق ـ ومع شيء من التبسيط ـ الى تيار متبع مقلد محافظ وتيار مبتدع مجدد متحرر ..

والواقع ان هذه الثنائية او هذا الازدواج من مشاكل الفكر البشري منذ القدم فلا تكاد تجد مجتمعا او عصرا يخلو من هذا الصراع بين قديم وجديد . وهذا الصراع لا يختص بميدان الادب فحسب بل يمد اصابعه الى ميادين الحياة كافة من دين واخلاق واجتماع واقتصاد وفلسفة ..

ومن الخطأ في الدراسة العلمية الموضوعية ان نشجب الاتجاه المحافظ ـ مثلا ـ في سبيل الاتجاه المتحرر او العكس ... ففي ذلك تحيز لا تقره روح العلم . ان كل اتجاه يوجد تلبية لحاجة بشرية وتعبيرا عن واقع نفسي ومادي للبشر وان الزمن هو الكفيل بالحكم على هذا الاتجاه او ذاك ..

فالتيار الشعري المحافظ في ادبنا الحديث ـ والذي يمثله شوقي ـ قام بانقاذ الشعر من كارثة الجمود والعقم التي اصيب بها في العصر العثماني وعاد به الى عهود جزالته وقوة سبكه الزاهرة ، هذا بالاضافة الى ادخال بعض عناصر التجديد من افكار عصرية ومن فنون جديدة كفن المسرحية الذي ادخله شوقي بقسط بسيط من النجاح الى الشعر العربي لاول مرة في تاريخه .

لقد كان هذا التيار بزعامة شوقي مرحلة انتقالية بين عصر العقم وعصر التجديد والابداع ... غير ان المشكلة بالنسبة للمعجبين به انهم لا يكتفون بتقدير دوره التاريخي بل تراهم يطالبون الشعراء بالسير على نهجه في الوقت الحاضر وهذا هو الافتئات على روح العصر وضرورة التطور ، وهذا هو الاتجاه الذي يجب ان يقاوم .

والحقيقة التي لا مراء فيها هي ان التجديد الاصيل لم يحدث في شعرنا العربي الا مع ظهور تيار المهجريين الرومانسي المجدد . فهذا هو تيار الحياة والخصب في الادب العربي الحديث ، وهو التيار الذي اكد قيما عزيزة عالية كان يفتقدها شعرنا من قبل .

١ ـ فقد اصبح الشعر عند جبران ونعيمة وايليا ابي ماضي بحثا دائبا عن قيمة الحياة ومعناها لا مجرد اظهار للبراعة اللغوية وللقدرة على اصطياد الصور البيانية والمحسنات البديعة .

٢ ـ ارتبط الشعر بالشاعر ارتباطا وثيقا واصبح المعبر الصادق عن نفسية صاحبه وتطهر من شعر المناسبات والحوادث الجزئية ومن شعر التكسب والارتزاق .

٣ ـ فتح هذا التيار المهجري الرومانسي باب الفكر الغربي والفلسفة الاوروبية على واجهة الشعر العربي فكان شعراؤه بعملهم الرائد هذا يسيرون على نهج اولئك الرواد العظام من امثال المتنبي والجاحظ وابن سينا الذين مازجوا بين الثقافة العربية والثقافات الانسانية الاخرى من اغريقية وفارسية وهندية .

هذا وقد مهد تيار المهجريين لظهور مدرسة الشعر الحديث او الحر ، هذه المدرسة التي تمسكت بعدد كبير من القيم الفكرية والفنية لتيار المهجر ، والتي تمثل اليوم حركة الابداع الرئيسية في الشعر العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من رسالة إلى جونسون

عبد الرحمن الشرقاوي

أعرفت زهر البرتقال
أشممت عطر الارض يوما ..
أبلوت ليلات الوصال
أسمعت موسيقى الحقول
ماذا تقول
أرأيت كيف يقوم من تحت التراب معذبون
ليشيدوا المستقبل البسام في وجه التحدي والخطر
ويسيطرون على القدر ..
ماذا يضيرك أن يصوغ الشعب في فيتنام فجر سعادته
وعدالته
بارادته
لم تشعل البركان فوق حياته وحضارته
أتراه حين يعيش يسلب منك انفاس الحياة
أتراك سوف تموت ان لم تجترع عرق الجباه
أسمعت عن شيء كهذا في تواريخ الوحوش
وحش يفاخر انه قتل الجميع لكي يعيش
حتى الوحوش اذا افترسن، فلا تتيه بما افترسن!
وطني المعارك والحضارة والامل
وطني هو النور الذي غمر العصور ولم يزن
وطني هو الفجر الجديد
وطني هو التاريخ والمستقبل الوضاح والزمن
السعيد
وطني هو المأساة مثقلة بما صنع التسلط والتحكم
عبر العصور
وطني هو الفلاح .. والبسطاء صناع التقدم
والمصير



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وظيفة الابداع

يحوي المجتمع عادة ، طرزا مختلفة من الناس ، الا انه يغلب ان يسود احدها فيكون الطابع العام الذي ينسحب تحته جميع افراد المجتمع .

واوضح ما يمثل هذه الفكرة ، اللغة واللهجة ، حيث يستعمل افراد مجتمع ما ، كلمات وامثلة هي بحد ذاتها نابعة من المجتمع نفسه ، ولا يكاد يستعملها افراد بيئة اخرى بنفس الفكرة التي يستعملها ابناء هـــذا المجتمع . ويتمشى غالبا معظم الناس مع هذا الطابع ولا يخرجون على المالوف من هذا الامر .

الا ان بعض الفئات تنحرف عن الطابع العام لسبب او لاخر . وانحراف بعضها يكون ارتكاسيا هادما يجمع تحت ظله المجرمين والاحداث المنحرفين ومرضى الذهان العقلي والعصاب والنفس ممن تزخر بهم مستشفيات الامراض العقلية والسجون .

ويكون انحراف اخرين ، خروجـــا عن المالوف العادي ، الا انه خروج بناء متطور يشمل الادباء والفنانين وقادة الفكر .

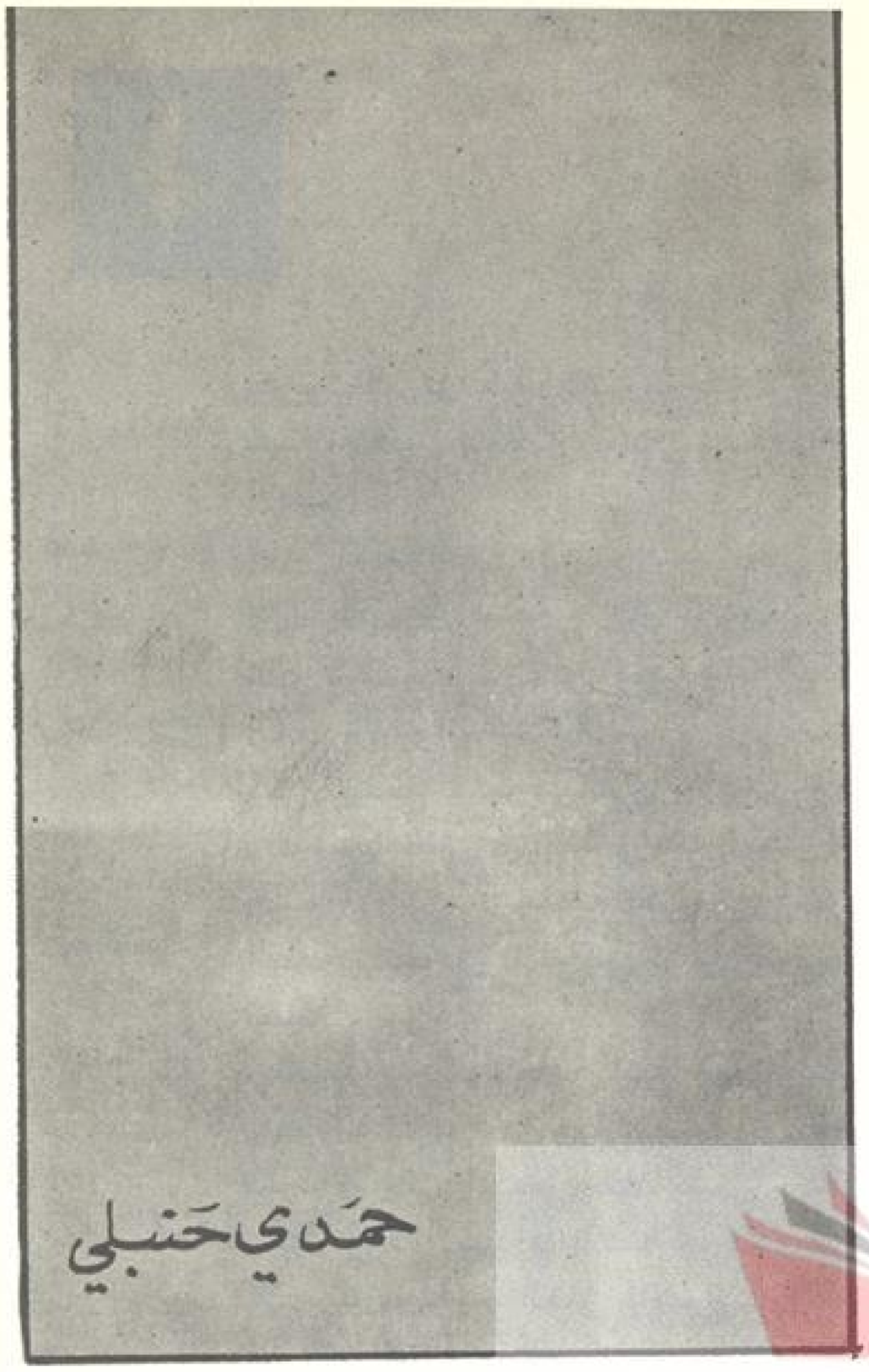
يعترض بعض النقاد على تسمية الادباء والفنانين بالمنحرفين وان سلم بان هذا التعريف احصائيا صحيح .

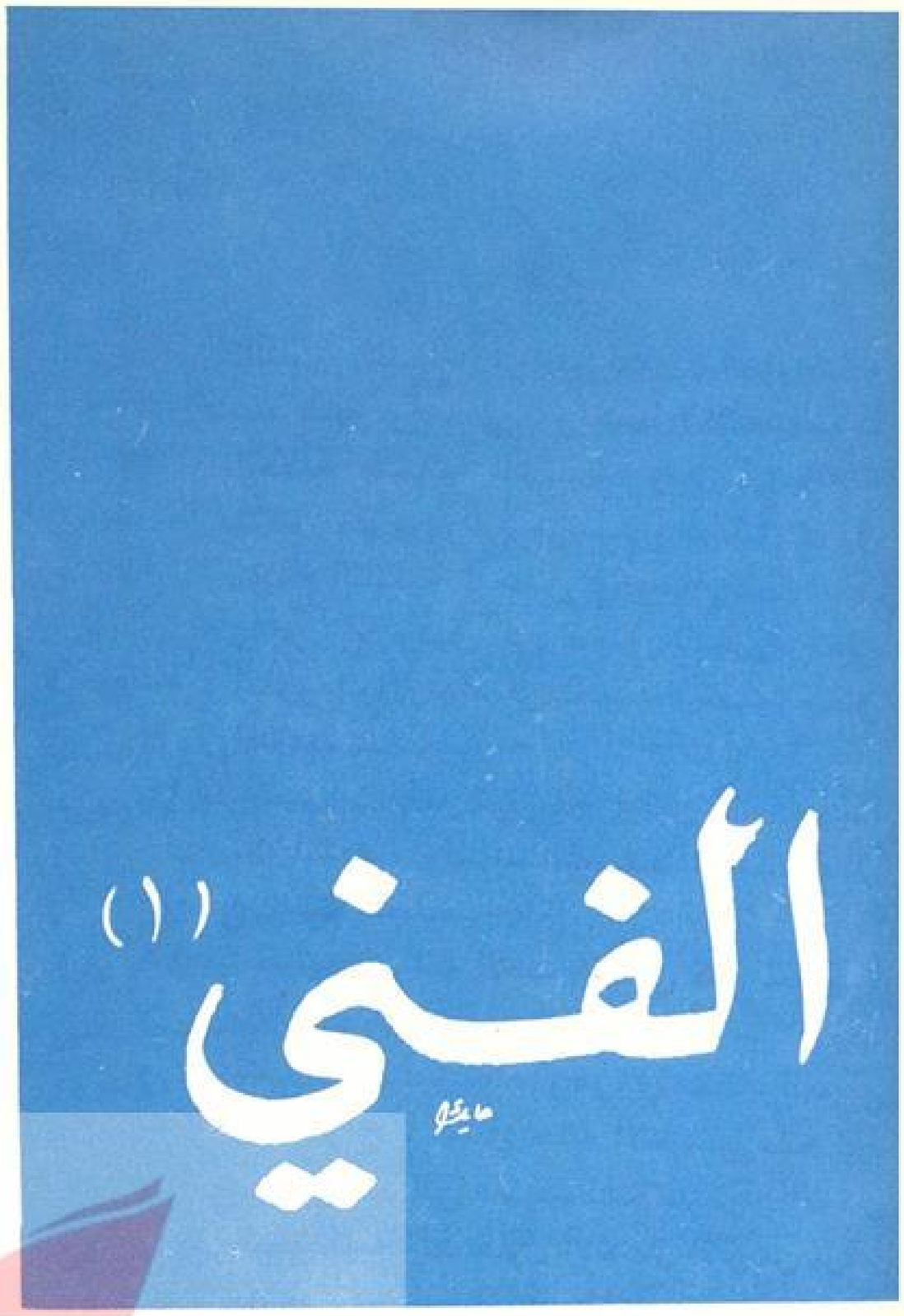
ونحن عندما اخترنا هذا اللفظ اخترناه ـــ حقيقة ـــ نتيجة التفكير الاحصائي ولكن ايضا ، هو صحيح من ناحية واقعية . فان انحرافات نفسية معينة كانت تعمل على رفع الادباء الفنانين والمفكرين نحو الانتاج والعمل والابداع .. هذه الاعترافات لو كانت لـــدى غيرهم لعطلتهم عن الانتاج .. وان احببنا ان نضرب امثلة من الادب العربي او الاجنبي ، فهناك الكثير ، وفيما يلي بعض الامثلة :

أ ـــ من الادب العربي :

١ ـــ ابن الرومي وتشاؤمه غير السوي .
٢ ـــ ابو العلاء المعري وانطواؤه على نفسه .
٣ ـــ ابو نواس وتهتكه وشذوذه وخمرياته .
٤ ـــ البحتري وحبه للثناء .. اذ كان اذا ما انشد قصيدة يصفق لنفسه ويقول .. والله لقد احسنت .
٥ ـــ ابن الفارض واصابته بالصرع وكان يطلب الاعجاب من الاخرين ويحرص على حسن الثناء ..
٦ ـــ المتنبي وجنون العظمة مع البخل والتقتير حتى على نفسه واهله ..
٧ ـــ ابو العتاهية وتقتيره الذي لا يطاق ..
٨ ـــ الامام الغزالي الذي هام على وجهه بالصحراء وربط نفسه الى عمود في المسجد بينما بلاد المسلمين تغلي .. سلبية غير متوقعة في هذا الموقف .. مع ايجابية فذة في مواقف اخرى.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com





ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ب ــ من الادب غير العربي :

١ ــ شوبنهور : الفيلسوف الالماني ، كان يصوم عن الكلام لعدة اسابيع متتالية لا يكلم سوى ذاته .
ورفض ذات مرة تتسديد فاتورة لان اسمه كان فيه غلطة املائية وتزوج من اربع نساء ليكون له اربع حموات ، ليس الا ..

٢ ــ فردريك نيتشه : الذي دخـــل مستشفى الامراض العقلية عدة مرات وقد جـــاء في تقرير احد اصدقائه عنه بعد زيارتـــه في مستشفاه « انه الشخص المناسب في المكان المناسب » .

٣ ــ عمانويل كانت : كان موسوسا ، دقيقا جدا في اعماله اليومية ، حتى ان الناس كانوا يضبطون ساعاتهم حينما يرونه مارا بمكان معين كل يوم .
وكان وفيا لمزوبيته وحتى انه شعر بغضب شديد ومهانة حينما عرف ان خادمه رجل متزوج .

٤ ــ اوجست كانت : الفيلسوف الفرنسي ومنشىء الفلسفة الموضوعية كان مشوش العقـــل طول حياته . ولم ينتج معظم اعماله الا في الفترة التي اختلت بها قواه العقلية . وحين يكتب خطابات مفككة ، ويخرج من منزله ، ولا يعود . وكثيرا ما حاول ادخال السكين في خشب المائدة اثناء تناوله الطعام .

٥ ــ فولتير : الذي كان مصابا بصداع دائم .. وكان يشكو من اعتلال صحته .

٦ ــ ديدرو : فكان ينسى الساعة واليوم والشهر ويتجاهل اناسا يعرفهم بحكم المعرفة .

٧ ــ جان جاك روسو : كان دائم الشكوى مـــن الشعور بالاضطهاد . وكان اذا نزل باحد الفنادق يغادره فجأة تاركا حقائبه . خوفا السفاحين الذين يتعقبون خطاه ، كما ان في اعترافاته اعراضا انحرافية وغير سويـــة كثيرة .

٨ ــ كان بلزاك مولعا بتغيير مسكنه من وقت لاخر . حتى ان اقرب المقربين من اصدقائـــه لم

يكونوا ليعرفوا كيف يعثرون عليه ، كما كان مصابا بجنون العظمة ويسمى نفسه (نابليون الادب) .

٩ ــ بودلير مؤلف قصة (زهرة الشر) التي اثارت حين ظهورها ضجة ، كان شغوفا بروائح النتن والتعفن ، التي يعتبرها الاشخاص العاديون روائح مقززة .
وكان يصبغ شعره باللون الاخضر وحاول ذات مرة خنق حماه ، واهتاج يوما فحطم جميع الاواني الزجاجية التي يتجر بها احد الباعة المتجولين ، ليرضي نزعة التخريب في نفسه .

١٠ ــ الفريد دي موسيه : اديبا فرنسيا كان متهتكا ، سكيرا ذا حياة مضطربة وانغمس بالرذائل حتى اصبح حطاما بشريا .

١١ ــ اميل زولا : يجد في نفسه قوة تدفعه قهرا الى عد مصابيح الغاز والابواب والعربات التي يصادفها في الطريق (عصاب قهري) كما كان يتفاءل بالرقم (١٣) ويعتبر الرقم(١٧) مجلبة للنحس ، وكان يتمتع بحاسة شم قوية حتى انه يجد لذة كبرى في اغلاق باب حجرته ومحاولة معرفة ما يطهى في المطبخ عن طريق استطلاع الرائحة عن بعد .

١٢ ــ توماس ديكينز : انكليزي ، كان غريب الاطوار يتغيب كثيرا عن موعد محاضراته او ينام نوما عميقا قبل القاء المحاضرة ، كان في صغره متفوقا حتى انه تكلم اللاتينية بطلاقة وهو في الحادية عشرة من عمره ، وبالرغم من ذلك فقد فشل في الحصول على الشهادة الجامعية من جامعة اكسفورد عند مواجهة لجنة الامتحان الشفوي اذ كان منطويا على ذاته شديد الخجل ، لذا كانت له عدة مساكن ، وكثيرا ما يغادر موطن سكناه ، ويذهب الى مكان اخر بعد ان يغلق باب مكتبه بالمفتاح وبالرغم من ذلك كان الناس يجدونه طيب القلب خفيف الدم .

١٣ ــ لورد بايرون : كانت امه عصبية تكثر من ضربه بقسوة زائدة ، وكان عرجه يلهب حواسه ، ولذلك حاول ان يعوض عن ذلك النفس بالنجاح ، انفصلت عنه زوجته بعد شهر واحد من زواجهما لاكتشافها العلاقة الشائنة التي بينه وبين شقيقته ، سافر بايرون الى فرنسا وايطاليا ، وفي مدينة البندقية انغمس في حياة كلها فسق وفجور ثم ارسل الى اليونان للتحريض على الخروج والارتداد عن الدولة العثمانية وخلق المتاعب لها .

١٤ ــ صمويل تايلور كولريدج : كان دائما وحيدا بلا اصدقاء ولم يستطع قط استكمال دراسته الجامعية .

١٥ ــ جوتيه : رائد الادب الالماني كان مصابا بالجنون الدوري (انقباض وهوس) وقد كتب معظم مؤلفاته وهو في حالة الهوس والانشراح . اما في حالة الانقباض فانه كان يبكي ويعمد الى تعذيب ذاته باجترار الافكار السوداوية وقد حاول الانتحار اكثر من مرة. وتزخر كتاباته بالشخصيات المنحطة ومرض النفس والعقل .

١٦ ــ ديستوفسكي : كانت كتبه تمتلىء بوصف مرضي الصرع والشذوذ وكان يشكو من الصرع والخوف دائما .

١٧ ــ بتهوفن : كان يفضل الا ــ حمام بالماء المثلج يصبه على راسه من ابريق فتمتلىء ارض حجرته بالماء فيلهو بها كالاطفال .

١٨ ــ روسيني : كان مصابا بصداع نصفي مزمن ثم انطوى على نفسه وكان يحس ببرودة اطرافه ويمضي عليه معظم الليل وهو في فراشه لا يعرف النوم وكان يحس وكأنه امراة لا ينقصها الا الرحم .

فبينما هم الفئة الارتكاسية هو الخروج على التقاليد والعادات والنظم السائدة في المجتمع والعمل على تقويض دعائمه ــ سواء اشعرت بذلك ام لم تشعر ــ نجد الفئة الاخرى تنشط للذود عن هذا المجتمع ولم شعثه وتقوية بنيانه والنهوض به وتخفيف الامه ، والتعبير عن مشاعره ، وتصوير احواله ، وتخليد عظمته ، وايجاد وسائل الترفيه والتنفيس لاسعاده عن طريق ما ينتجون من فكر واداب وفنون ، فكل من الفنان او الاديب منحرف لكونهما قلة في المجتمع ولانهما خارجان بحسب طبيعة اعمالهما عن المألوف العادي من الاعمال . وهما لن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يكونا طبقة مبنية معينة كما يحلو للماركسيين ان يسموها .. اذ هما اكثر حساسية في امور مجتمعهم من بقيـــة افراد المجتمع ليس الا . ولذا عمد البعض الى تسمية افراد المجتمع بالانسان العادي بينما زاد من قيمة الفنان او الاديب وقومه بانه انسان وفكر (٢) . ونحن اذ نرى الفرد العادي في المجتمع ينصرف الى اشباع حاجاتـه النفسية والاجتماعية والجسمية ، الفطرية منها والمكتسبة نرى الاديب يحمل على كاهله عبء مجتمعه بما فيه من فرح وترح .. والام وامال ..

ولذا لن يكون الاديب نسخة من رجل الشارع ، وهو اكثر من صاحب مهنة يتكسب منها عيشه . فهو الانسان المرشد والموجه والقائد وهو الوسيلـة التي يستطيع المجتمع بواسطتها ان يحقق تطوره البناء وتقوية بنيانه الحضاري .

أمثلة وتوضيحات :

لتوضيح ما سبق اقول انك تستطيع ان تسمع من كل افراد المجتمع على اختـلاف مشاربهم واعمارهم واجناسهم ومناطق سكناهم ، وما الى ذلك من فروق بين الافراد والجماعات ، يستطيع اي من هؤلاء ان يسود على مسامعك حادثة جرت له ، او ينسج من مخيلتـه كذبة مفتراة عن مغامراته ، الا ان قلة منهم هي التي تستطيع ان تجعل هذه الحادثة او ذلك الخبر قطعـة ادبية تنبض بالحياة فيقراها او يسمعها الناس فينفعلوا بها ويعجبوا بسحرها ايما اعجاب . فيقتنعوا بمضمونها وتعدل من سلوكهم .

ليست الافكار ملكا لاحد ، فكل فرد منا يفكر الا ان للافكار حدودا متعارفا عليها من قبل المجتمع ، والعقيدة التي يؤمن بها المجتمع ، فهناك افكار شاذة لا يقرهـا افراد الهيئة الاجتماعية الواحـدة . فلو صدرت عن شخص ما مرة او مرتين ، لضحك منه سامعوه وسامحوه على ذلك وانصرفوا الى اعمالهم لاهين عنه متناسين له زلته . الا انه لو دامت هذه الافكار الخاطئة المشوشة الغريبة الشاذة ، فان المجتمع ساعتئذ سيقف منها موقف الحزم ، فاما ان يوقع العقاب على صاحبها ، ان كان لهذا اثر في سلوكه على المحيطين به ، او ان يعمل على حجزه لمداواته بشتى سبل العلاج . ويتمشى الامر ذاته مع الاخيلة التي تنتابنا ، كثيرون منا يسرحون بافكارهم ولا احد يحاسبهم عليها — مهمـا بلغت في الجنوح والانحراف — ما دامت حبيسة ادمغتهم .. واذا مـا اختلط على صاحب الخيال ، الواقع ولم يستطع ان يميز بينه وبين احلامه الذاتية وشط في امره ، فان المجتمع سيقف له بالمرصاد .

والاديب او الفنان او المفكر تنتابه الافكار ذاتهـا او شبيها لها الا انه يمتلك ناصيتها فيستسلم لها ، فيعبر عنها بانتاجه السامي فهو يعبر عن الشذوذ الـذي في لذا ، فان من يعاني من الافكار نفسها نجده يتوحد معها ادمغة الاخرين بنتاج فني او ادبي او فكري معترف به . بمجرد قراءتها او مشاهدتهـا ، كتمثيلية مسرحية او سينمائية او سماعها من المذياع وكذلك الخيال ، فعن طريق الشعر والمنتوج الفني او العمل الادبي نستطيع ان نعلو باخيلتنا ونريح انفسنـا من عبء مكبوتاتنا والاحباطات المختلفة التي تعرضنا لها في حياتنـا الاجتماعية (٣) .

الفنان او الاديب ايهما اكثر قدرة على الاعـلاء والتسامي بالمشاعر والانفعالات من غيره فهو قائـد وغيره تابع .

وكم شاهدنا افلاما ومسرحيات وتوحدنا مع ابطالها وبكينا لهم وفرحنا بهم رغم تأكيد علمنا ان ما نشاهده امامنا تمثيل ، وينطبق الكلام نفسه على بقية الاعمـال الفنية والادبية .

وزيادة في التوضيح اسوق المثال التالي :

ان بعض مرضى الفصـام — وهو مرض عقلي ذهاني — يشعر في حالات معينة وكأن جسده مكون من زجاج هش سريع الكسر .. فاذا ما صرح بذلك واصر عليه ، فاننا نضطر الى حجزه في مستشفى الامراض العقلية . في حين لو شعر بذلك شاعر مثل ابي العلاء المعري وقال قصيدة منها (٤) :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهـة
وحق « لسكان » البسيطة ان يبكوا
تحطمنـا الايـام حتى كأننـا
زجـاج ولكن لا يعـاد لنا السبك

ونحن عندما نسمع مثل هذا الشعر فاننا نصفق له طويلا مبدين اعجابنا به ، اذ ان هذا الشعر جميل لـه معان فلسفية عميق الغور ، شغلت ولا تزال تشغل النقاد من قديم الزمان وحتى يرث الله الارض ومن عليها .

في مثل هذه الحال ، نرى ان هناك اناسا لما يقعوا فريسة للمرض الذهاني بعد الا ان عندهم الشعور نفسه



فتعجبهم الفكرة ويسرون بها وينفعلون معها ، ولربما يأخذونها ويحملونها على غير ما عنى الشاعر ، فتخف عنهم وطأة اخفائها عن الاخرين . فيسلم المجتمع لهم بها اذا ما صرحوا « ان ذلك هو الصدق بعينه .. اننا زجاج سريع الكسر » .

اعود فاقول : « ان الفرد منا اذا ما قرأ نتاجا ادبيا او شاهد لوحة فنية ، فان هذه او تلك كانت فكرا وخيالا في ذهن صاحبها ، الا انه سما بها واخرجها بهذا العمل الادبي او الفني من حيز الاحلام الى عالم الواقع ، فعبر بذلك عن مكنون ذاته وعلا بعواطفه وخيالاته واخرجها للاخرين الذين يعانون من مثل ما عانى هو ، فالنتيجة هي تنفيس الانفعال المصاحب للافكار والخيال المكبوت في اللا شعور واسقاطه على هذا العمل الادبي او الفني ، فخرج العمل الفني برضاء المجتمع وحدث التطهير النفسي من الانفعالات والاخيلة الشاذة المقموعة والمحيطة ايضا ، برضاء المجتمع ومن ثم قضى على الكبت والقلق المصاحب لهما . **وكاننا بالادب والفن نقوم بعملية وقاية المجتمع وافراده من الانحراف الارتكاسي الهدام بمختلف ضروبه .**

الكبت :

لو سألتني يا قارئي المزيز عن اسباب الكبت .. لما استطعت ان احدد لك سببا واحدا حتميا اذ ان هناك مئات من العوامل المتضافرة التي من شأنها ان تساعد الانسان على ان يواصل حياته . **فهناك امور تتعلق** بالضغوط الاجتماعية منذ الطفولة ، كالاوامر والنواهي والارشادات والتوجيهات ما بين منح وتسامح لاداب السلوك ، وهناك امور تعود للذات الفردية وقدرة تحملها لهذه او تلك من الضغوط وهناك امور تتعلق بالعامل الاقتصادي او الدافع الجنسي او تحلل الروابط والقيم الاجتماعية او الفراغ الديني والافلاس العقائدي والتفاهة الفكرية .

والانسان معرض دائما للاصطدام ببيئته طالما ان هناك حياة بحيث ان البيئة الاجتماعية تضطره الى قمع مشاعره المحرمة فيها ، فتظهر عليه كنتيجة لهذا الواقع، صورا شتى من السلوك المنحرف .

من اسباب الانحراف :

ان المتابع للصحف في الاونة الاخيرة يهوله كثرة ذكر حوادث القتل والجريمة .. وهو لا يكاد يعرف لها سببا ، الا اننا نقول بان هناك اكثر من سبب ، ولعل الصحف في حد ذاتها من اهم تلك الاسباب ، لما تعمل من تشجيع الجريمة من حيث لا تدري ، فهي تنشر صور القاتل وتنشر اخبار الجريمة ، بعناوين كثيرة ومثيرة ، بمختلف الالوان . وتعيد وتزيد بالتفاصيل ويقراها القارىء العادي فيتوحد معها ويتأثر بها او يخطر بباله نشر اسمه ، وشهرته ، بهذه الطريقة فيقدم على العمل العدواني المنحرف ..

وهناك اسباب اخرى تعود للحالات السياسية للمنطقة العربية حيث صاحب هذا الجيل احداث فلسطين وما فينا اسرة لم تنكب بها ، واعتداءات اليهود المتكررة والنكسة والفرقة ووأد الامال واجهاض الاحلام ، ثم سماعه ورؤيته لحوادث القتل والسحل في المظاهرات والاحداث السياسية المختلفة . فالف ذلك وهان عليه الانسان ، الذي فقد الجسد لديه حرمته ، واصبح لا قيمة له . فكأن الانسان بنظره مصنوع من الورق او القماش او الفخار ، ما اهون ما يفتت . ولو تناثرت اوصاله لما هاله الامر .

ان على الادباء والفنانين واجب اعادة القدسية لهذا الانسان حتى يشعر جميع افراد المجتمع بقيمته وانه اكثر من اجزاء مرصوصة بعضها بجانب بعض او انه مكون من لحم ودم وعظم ، بل هناك فكر يسمو . وان هذا الانسان يستطيع ان ينتج اشياء بامكان كل منا ادراكها حسيا ولمس فوائدها عن طريق المعارض والمجلات والكتب الادبية والاذاعية ، والوسائل الاعلامية الاخرى . ومن ثم سيأتي — فيما لو نجح الادباء برسالتهم — يوم تنعدم فيه الجريمة ويقل الانحراف ويسعد جميع ابناء المجتمع (٥) وسنقدم للامال والاحلام اناسا اصحاء بدنيا ونفسيا واجتماعيا فيحولون الافكار الى اعمال والخيالات الى وقائع والخور الى عزيمة وقوة وفاعلية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — هذا البحث من كتاب الانسان العقائدي . الذي ستتولى نشره مكتبة الامل بالكويت عما قريب ان شاء الله .
٣ — وهو ما يسمى عند ارسطو وعلماء النفس بالتنفيس والتسامي .
٤ — لزوم ما لا يلزم ، الجزء الثاني ، ص ١٤٣
٥ — مجلة الافق الجديد الادبية ١٩٦١ (الانسان المبدع : حمدي حنبلي)

العقاد العملاق ؟

كيف ومتى زاول الصحافة

منذ شب (العقاد) عن الطوق وعرف شيئا اسمه « المستقبل » لم يؤمن بصناعة غير صناعة القلم .. ولم يعشق فنـــا غير فن الصحافة !

تطلع العقاد ذات يوم الى دولاب في دار والده فالفاه مترعا بصحف اسبوعية وشهريه قديمةاكثرها من المجلات التي اصدرها الصحفي المطبوع عبـــدالله (١) نديم و فيطليعتها مجلة«الاستاذ» وقد برع صاحبها بالعناوين أنتي كان يختارها لمقالات مجلاته ، ومن عناوينه الانيقة « كـــأن ويكون » و«التنكيت والتبكيت» لاسم صحيفـــه و« المسامير »لكتاب هجاء .

أول الغيث : وأقبل (العقاد) على الصحف التي اصدرهـــا (النديم) وفاضت بها مكتبـــة والده محمود العقاد ، يقرأ موادها ويقف مدهوشا امام عناوينها ،وذات يوم قص ورقا أبيض على قدر مجلة « الاستاذ » وعمد الىمكان العنوان منها فكتبـــه بخط أنيق معارضا عنوان « الاستاذ » بعنوان (التلميذ) ومعارضـــا كذلك افتتاحية رن صداها في كافة الاوساط المصرية وظلت حديث المجالس زمنـــــا طويلا وهيالافتتاحية التي اختار لهـــا (النديم) عنوان « لو كنتم مثلناالفعلتم فعلنا » فعارضه العقـــاد بعنوان لافتتاحية العـــدد الاولمن « التلميذ » هو « لو كنا مثلكم ما فعلنا فعلكم ! » .

بقلم
البدوى
الملثم

١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقاد المملاق

ويتلخص مقال (النديم) في ان المصريين يطلبون الاستقلال ويدعون انهم والاوروبيين اشباه وانداد ، لكن الاوروبيين ينكرون هذا الزعم ولا يكلفون انفسهم غير دليل واحد يثبتون به الفارق البعيد بينهم وبين المصريين ، فاذا قالوا لهم « نحن مثلكم » قالوا لنا « تلك دعواكم ، ولو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا ! » .

استغرقت مقالة (النديم) هذه اكثر من عشرين صفحة وقد ختمها بقوله : « **ان اخر الدواء الكي ، وقد بلغ السيل الزبى ، فان رفانا هذا الخرق ، وشددنا أزر بعضنا ، أمكننا ان نقول لاوروبا : نحن نحن .. وانتم انتم .. وان بقينا على هذا التضاد والتخاذل واللياذ بالاجانب فريقا بعد فريق حق لاوروبا ان تطردنا من بلادنا الى رؤوس الجبال لتلحقنا بالبهيم الوحشي ، وتصدق في قولها : « لو كنتم مثلنا لفعلتم فعلنا ! » .**

وامسك **العقاد** بتلابيب مقال (النديم) وفنده فقرة فقرة ورد عليه ردا يدل على نظر ثاقب ، وراي صائب ، وخلاصة رده : « **اننا نحن الشرقيين لو كنا مثلكم — ايها الغربيون — فاتحين منتصرين لما فعلنا فعلكم من نهب للاموال واستباحة الحقوق وافتراء الاكاذيب والتعلل بالمواعيد ، ولكننا لسنا مثلكم ، ولا نريد ان نفعل فعلكم وسترون فعلنا عما قريب ! »**

واصدر **العقاد** من « التلميذ » بضعة اعداد وكان قراؤها من زملائه في المدرسة اقاربه المشجعين ، ودرج على عادة الفها في صغره ولم يقو على ان يغيرها فتأصلت فيه منذ شرع في اصدار « التلميذ » الى ان بلغ الصدارة في (حزب الوفد) وتحرير الصحف الناطقة باسمه ، وهي ان يجهز ورق الكتابة الصحفية بالقياس الذي كان يقصه ويكتب عليه مقالات (التلميذ) ومتى كتبها طواها طولا كما تطوى (التلميذ) واودعها غلافا مستطيلا كالغلاف الذي توضع فيه المجلة ، وكلما قاربت الاوراق والظروف المستطيلة النفاد اوصى بصنع كميات منها .

كان عبدالله النديم اول من لفت **العقاد** الى العمل الصحفي ، وكانت مطالعاته اول مطالعات وجهت **العقاد** الى هذه الصناعة ، وهنالك شبه عميق بين (النديم) و **العقاد** فالاول تعلم صناعة التلغراف كما تعلمها الثاني ، واشتغل (النديم) في مدرسة خيرية كما اشتغل **العقاد** وحاول (النديم) الاستخفاء عند مطارداته في اعقاب الثورة العرابية وكذلك فعل **العقاد** اكثر من مرة في الحرب العالمية الاولى .

ولما بلغ العقاد السادسة عشرة من عمره عمل لاول مرة في صحيفة **الدستور** وعند اعلان الدستور مدح العقاد الخليفة **عبد الحميد** بابيات هنأه بها وسجل تاريخ السنة بحساب الحروف الابجدية فكان التاريخ هذه الشطرة : « **وقد انشا الدستور عبد الحميد ! »** .

وانقطعت الصلة بين **العقاد** وصحيفة (الدستور) بضعة شهور ولكنه كتب اليها مقالا وحيدا من الخارج يوم اعلن الدستور في ايران فقال مهنئا الشاه :

« ولو كنت في فرنسا لكان مصيرك مصير الصبي ابن لويس السادس عشر ولكنك تحمد الله لانك في بلد اسلامي وتحمد لشعبك — ولا ريب — جميل هذا الصنيع ! »

اصدر **العقاد** « التلميذ » مخطوطة وهو طالب في الثانية عشرة ولم يملك من المال ما يكفي للتفكير في طبع المجلة حتى ولا غلافها .. ولو وجدت المطبعة في الصعيد الاقصى !

وانهى العقاد دراسته الابتدائية في اسوان وعمل موظفا في مالية الزقازيق براتب شهري قدره خمسة جنيهات ، وصمم على ان يدخر في نهاية كل شهر جنيها واحدا ، ومتى تجمع لديه مبلغ مما يدخره ينفق على طباعة العددين الاول والثاني من « التلميذ »وهذان العددان واشباههما يباعان ويؤمنان طباعة بقية الاعداد .

وعرف **العقاد** شيئا عن نفقات الطباعة في الزقازيق ، وذات يوم برح به الشوق الى اسوان فنظم قصيدة على وزن قصيدة كفيف المعرة التي مطلعها :

عللاني فان بيض الاماني
فنيت والظلام ليس بفان

وكان مطلع قصيدة **العقاد** في الحنين الى اسوان :

ذكراني نعيمها ذكراني
حبذا لو علمتما ما أعاني !

فصفق زملاء **العقاد** المتأدبون لهذه القصيدة واقترحوا عليه طبعها ليحتفظ كل منهم بنسخة ، وتكفل احدهم بتقديمها الى مطبعة في الزقازيق فلم تكلفهم ورقا وطباعة اكثر من ثلاثين قرشا لمئتي نسخة ، وقيل لهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انها تكلفهم اقل من خمسين قرشا اذا طبع منها مئتا نسخة اخرى فعرفوا التسعيرة ، وعرفوا الفارق بين نفقات طبع قصيدة ونفقات طباعة مجلة !

وعول **العقاد** على الاستقالة من عمله الحكومي والانتقال الى القاهرة فليس ابناء القاهرة باقل من ابناء الزقازيق اقبالا على قراءة المنظوم والمنثور ، وذات يوم يمم القاهرة متأبطا مواد المجلة ، مترددا بين اسمي « **البيرق** » و« **رجع الصدى** » واخيرا آثر الاسم الثاني وكتب العنوان بخط انيق ليخرجه الحفار كما كتبه **العقاد** وعرج على كتبي عتيق اعتاد العقاد ان يمر به كلما هبط القاهرة من الزقازيق ، وكاشفه بامر الصحيفة التي أزمع اصدارها فصاح به الكتبي : « **ماذا ؟ اتترك خدمة « الميري » ؟ وتشتغل بالقزازيط (٢) والجرانيل (٣) ؟ ان كنت لا تدرك ما انت مقدم عليه فانتظر هنيهة لترى مائة من هؤلاء (الصائغين) يتمنون التراب تحت قدميك في وظيفتك ولا يصلون اليه .. لا يا صاحبي .. لا انني اراك اعقل من هذا يا بني .. فلا تخيب أملي فيك .** »

لم يقتنع العقاد بنصائح الكتبي اذ لم يسمع منه جديدا عن خدمة « الميري » وقداستها في عرف ابناء ذلك الجيل ، ولم يزحزحه تحذيره هذا قيد شعرة عن نية التصميم والتنفيذ !

انما زحزح **العقاد** قيد ميل .. عن تلك النية منظران من المناظر التي كانت تتكرر في كل حلقة صحفية ولا يستغربها احد من المتفرجين ذلك ان كانت بجوار المكتبة مطبعة صغيرة كانت تطبع فيها الصحف الاسبوعية ، وكان مدير احدى الصحف يرجو صاحب المطبعة ان يعجل باصدار العدد ، لكن صاحب المطبعة يأبى أن يخرج العدد ما لم يحصل على اجرته واجرة العدد السابق الذي صدر قبل اسابيع ، ووقف المدير ينتظر وكيلا له ارسله الى المشتركين للتحصيل ، وعاد الوكيل على صورة يقصر عنها امل المتسول الذي يريد ان يبالغ في اثبات صناعة التسول ، واستدرار شفقة المحسنين والمسيئين!

فصاح به المدير :«ما وراءك ؟»

فاخرج الوكيل ايصالا سعادا من احد المشتركين وقال ان الاشتراك مسدد قبل الان !

فسأله المدير : « واين الايصال الاخر ؟ »

قال الوكيل : « **ان الرجل قطعه ورماه في خلقتي ! »**

فهم المدير بضربه وهو يقول : « **رماه في خلقتك .. ؟ مستحيل .. ان فضيحة بيته معروفة يخشى من الاشارة اليها بكلمة ، فلا تقل انه قطع الايصال ورماه في خلقتك الشريفة، بل قل انك شربت بالاشتراك كعادتك وجئتنا ثملا ! »**

وكان هذا اول الادوار التقليدية المحفوظة ولم يكن اخرها ولا اقبحها، وفي واحد منها الكفاية للعدول عن الخطوة الاولى !

كان هذا المنظر المخجل الذي شهده **العقاد** باعثا على قرفه من نفر رخيص جاهل متكالب على الصحافة ولكن الصحافة كفن كانت في نظره شيئا مقدسا . .

وكانت « الدستور » (٢) التي اصدرها محمد فريد وجدي اول صحيفة يومية عمل فيها **العقاد** وكان في وسعه ، قبل العمل فيها ، ان يعمل في تحرير « اللواء » (٣) او في قلم الترجمة بـ « اللواء » اذ كان هذا القلم يتطلع الى مترجمين اكفاء يعرفون الانكليزية او الفرنسية ، وذات يوم خطر للعقاد ان ينضم الى قلم الترجمة في « اللواء » لكنه تردد حتى احجم !

بدا العقاد عمله في **الدستور** براتب شهري قدره ستة جنيهات وكان قوام هيئة التحرير محمد فريد وجدي صاحب الصحيفة والعقاد واحمد وجدي المحامي وشفيق فريد وكان هذا محررا متطوعا ، وكان زملاء احمد وجدي يتطوعون معه بالكتابة من حين الى اخر ، لكنهم اضربوا جميعا بعد الخلاف الذي نشب بين محمد فريد وجدي ومصطفى كامل .

ورضي العقاد بعمله الصحفي وكانت وجبة الفطور في ذلك الزمان تكلفه خمسة مليمات .. فمليم ثمن نصف رغيف ومليمان ثمن الفول والزيت ومليم ثمن صفحة من السلطة ومليم ثمن برتقالة او يوسفية او اصبع موز او اربع بلحات !

وطعام الغداء كان يتقاضاه عشرين مليما للصفحة من الخضار وفيها قطعة من لحم البقر او الضأن ، وغرفة النوم لا تكلف اكثر من ثلاثين قرشا في الشهر الواحد ، وديوان (البهاء زهير) بقرش صاغ وديوان المتنبي بعشرة قروش والمستطرف في كل فن مستظرف بقرشين !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقاد العملاق

واختار العقاد (ع.م. العقاد) توقيعا لمقالاته ، لكن مثل هذا التوقيع كان موضع تندر زملائه الهازلين في بلد ــ القفش ــ والدعابة ، وبعد ان ظهرت مقالات ثلاثة بهذا التوقيع دغم اولئك الخبثاء حرفي (ع.م) في أسم (عم) وراحوا يتحدثون عن مقالات (عم العقاد) لكن العقاد ظل يذيل مقالاته بتوقيع (ع.م. العقاد) ولم يتراجع عنه ..

وكان **العقاد** او لصحفي مصري اجرى حديثا مع وزير .. اذ كان صحفيو ذلك العهد يتجنبون اجراء اي حديث مع وزير لا يملك من أعمال وزارته غير التوقيع على المعاملات والرضوخ لاوامر « المستشار » وتعليماته !..

اقتحم العقاد هذا الباب لاول مرة واجرى حديثا مع **سعد زغلول** وزير الاوقاف وحديثا مع **الفازي احمد مختار** « قوميسير » الدولة العثمانية تطرق فيه الى نظام الجيش في عهد الاحتلال العسكري ، ونقد القوميسير النظام السائد عهد ذاك **فحرك هذا الحديث بريطانيا وطلبت من عباس الثاني ان يحمل قائدا عسكريا يمثل الدولة العثمانية على الاعتذار ، لكن الفازي احمد مختار ظل على القول الذي ادلى به لكنه غلب بعد ان هددوا الصنم الجاثم في (يلدز) فسحب ممثل الدولة العثمانية من القاهرة .**

بعد عزل **اللورد كرومر** اطلقت سلطات الاحتلال يد **الخديوي عباس الثاني** في شؤون الحكم المحلي ، وكان الازهر والاوقاف والرتب والنياشين في اولها .

وهنا تنمر الخديوي للحركة الوطنية وادار ظهره لطلاب الدستور وحارب حركة الاصلاح في الازهر بعد وفاة الاستاذ الامام محمد عبده واعلن عداءه لمدرسة القضاء الشرعي وكاد يقضي عليها !

ثارت الثائرة على الخديوي داخل الازهر وخارجه فكتب **العقاد** مقالا مطولا استغرق الصفحة الاولى من « الاخبار » (٤) قال فيه : **ان الملوك لا يحتاجون الى القسم لانهم يثبتون نياتهم بالاعمال لا بالاقوال ! »**

فلما ظهر المقال في **الاخبار** بتوقيع (ع الاسواني) قامت له الحاشية الخديوية وقعدت اذ ظنته من ايحاء بعض المشايخ الازهريين فاستدعت النيابة صاحب **الاخبار** وسألته عن اسم صاحب المقال ، فاذن له العقاد بان يطلعهم عليه فطويت المسألة اذ كره رجال الحاشية ان يتوسع الخرق !

وظل العقاد في تحرير **الدستور** الى اخر عدد صدر منه فاحتجبت هذه الصحيفة ووعد صاحبها العقاد بالتعاون معه في عمل صحفى اخر !

٢

كان محمد فريد وجدي يصدر مجلة شهرية اسماها « الحياة » ويكتب فيها احيانا مقالات خيالية بعنوان « الوجديات » ثم هجر المجلة ليتفرغ لاصدار « الدستور » . وفي فترات متباعدة كان يعاود اصدار « الحياة » كلما اجتمع له مادة ادبية تملأ صفحاتها ، وكان يختار لها من المقالات الادبية التي كان العقاد ينشرها في اعداد « الدستور » اليومية !

ودرج محمد فريد وجدي على كتابة « الوجديات » باسلوب المقالات ويقصرها على العظات الاجتماعية وتقريب المثل العليا التي تصطبغ بصبغة الدين او الاخلاق المثالية ، وكان لهذه المجلة قراء يطلبونها كلما طالت غيبتها عنهم !

وذات يوم لقي محمد فريد وجدي العقاد ، وقال له : **« ان (الحياة) اولى بمقالاتك من الصحيفة اليومية ، وفي وسعك ان تجرب قلمك في المقالات فتظهر المجلة وفيها مقامات ومقالات بقلمك الى جانب « الوجديات » ولولا انني انتظر حتى اعلم ان هذا العمل يعوض تكاليفه ويغنيك عن عمل اخر لشرعنا فيه منذ الساعة ، ولكننا قد نشرع فيه بعد أسابيع ! »**

مضت الاسابيع ولم يسمع **العقاد** من صاحب « الحياة » خبرا عن الفكرة التي اقترحها ، فاخذ يبحث عن عمل مناسب في الصحافة او ما هو شبيه بالصحافة .

كانت « اللواء » في حياة **مصطفى كامل** يعول في مواردها على (يلدز) و(عابدين) وعلى معونة بعض الغيارى من سراة الترك والمصريين ، وانقطعت موارد (يلدز) و(عابدين) من قبل وفاته .. وانقطع الامل في موارد (يلدز) و(عابدين) بعد زوال عبد الحميد وفي موارد (عابدين) بعد اعراض الخديوي عباس الثانى عن ــ الحزب الوطني ــ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في عهد سياسة الوفاق واستحكام العداء بين حاشية الخديوي ومحمد فريد (خليفة) مصطفى كامل !

وقد كان فريد ينهض وحده باعباء « اللواء » المالية والسياسية ، لولا ما اصابه من المصادرة تلو المصادرة والمحاكمة تلو المحاكمة حتى اجمع امره على هجرة الديار المصرية!

وكان « المؤيد » يزدهر في ابان نشاط صاحبه علي يوسف ثم نكب هذا الرجل بنكبات عائلية حتى زهد في صحيفته فتركها للمقادير .

وكانت « الجريدة » اسلم الصحف اليومية من هذه الزعازع لكنها لم تسلم من ضربات خصومها السياسيين **وفي طليعتهم الحاشية الخديوية و« حزب الاصلاح »** ..

وطالت حيرة **العقاد** بين العمل في صحافة لم يشرفها نفر مرتزق والعمل في غيرها ، وأين يكون العمل في غيرها ؟ !

انه التدريس في المدارس الاهلية وان لم يتيسر ذلك فقد يتيسر باعطاء دروس خصوصية ، واما وظيفة الحكومة فهيهات ان يبلغها !

وكره العقاد ان يلجأ الى طلب النجدة من احد من الموسرين من اهله اذ تحداهم جميعا وخيب املهم فيه بخروجه من الخدمة الاميرية .

وفكر العقاد في بيع كتبه وهي تعد بالمئات ، لكن حادثا مفاجئا الم به وهو يسكن غرفة في ضاحية حدائق القبة فحال بينه وبين بيع كتبه فهجر الدار وفيها كتبه وقصد اسوان مسقط راسه ، هربا من الافلاس الذي اصاب جيبه !

وفي اسوان استسلم العقاد لليأس والوهم وخيل اليه ان مرضا قد دب اليه .. ولا مرض هناك غير الركود والاعياء ، وتملكته فكرة الموت العاجل ... وأقبل على القراءة في كتب « الفلسفة المادية » وأكثر من النظر في مذهب « النشوء والارتقاء ».

ولما وقع في وهمه انه مبارح هذا العالم الفاني الى العالم الثاني اعاد النظر في « يوميات » كان يسجل فيها خواطره وتعليقاته وابيات الشعر التي نظمها ولم يتممها ، او رؤوس الموضوعات التي نظر فيها ولم يفرغ من دراستها ، او ملاحظات الطريق ونواد الاحاديث العابرة .

ولقد اجتمع لديه من هذه (اليوميات) دفاتر ثلاث سنوات ، ونقل منها صفحات متفرقة تشتمل على نماذج منها وبعث بها الى صديق مقيم في القاهرة وقال له ان هذه الصفحات هي كل ما يتركه اذا ترك الحياة ، فان وجده اهلا للذكر ، ووجد الفصول اهلا للنشر ، فتلك كرامة الصديق الراحل على الصديق الباقي ، والا فلا حرج عليه ان هو اهمل نشرها وسلمها للنسيان يطويها حيث طواها في زاوية من زواياه !

ولبثت — خلاصة اليوميات — المخطوطة سلاحا من اسلحة التندر والفكاهة والنكاية ، يشحذه اخوان العقاد الذين عرفوا القصة ولم يتورعوا عن استغلالها ، فمنهم من يقول متململا : متى تظهر — خلاصة اليومية — ؟ لقد طال الامد على انتظارها .. ! ومنهم من يقول مستمهلا كلما شكا **العقاد** او التمس العلاج : على رسلك بالله .. !

المطابع مشغولة في هذه الايام .. فاصبر هنيهة حتى تفرغ لطبع — خلاصتك — وامثالها !

وما برح اخوان العقاد واصفياؤه يستعجلونه ويستمهلونه حتى اراحهم واراح نفسه بطبع — خلاصة اليوميات — بعد ان اضاف اليها .. وحذف منها .. ومن التوفيق الذي حالفه ان نسخها نفدت في اقل من نصف عام ، فلم يبق من الفي نسخة غير مائة ، وهو نجاح حالف كتابا ولدته فكرة يائسة من الحياة !

وفي وقدة الصيف هجر العقاد اسوان وعاد الى القاهرة ومنها الى الاسكندرية ، وزايله هاجس الموت بعد ان احتضن الطبيعة وعرائس البحر والشعر على شاطىء الاسكندرية ، وبعد شهرين برحها الى القاهرة سعيا وراء عمل .. ولكن انى له ان يجد العمل الذي تطمئن اليه نفسه ؟

أفي الصحافة ؟ كلا .. وهي تبلو المحنة التي عهدها العقاد يوم انتهى من عمله فيها !

أفي التدريس ؟ كلا .. فالمدارس قد بدأت عملها ولا معرفة له باحد من أصحابها !

واخيرا قاده الحظ الى العمل في قلم السكرتارية بديوان الاوقاف ، وكان هذا الديوان ، في تلك الحقبة ، مجمع الادباء والشعراء من شيوخ وشبان ، وقد ضم : محمد المويلحي واحمد الازهري وأحمد الكاشف وعبد الحليم المصري وعبد العزيز البشري

العقاد العملاق

وحسين الجمل وحسن الدرس وعلي شوقي ومحمود عماد ومصطفى الماحي وغيرهم ، وقد عرفوا العقـــاد عن طريق فصول نشرها في مجلة «البيان» لصاحبهـــا الاستاذ عبـد الرحمن البرقوقي ،

ومن تلـــك الفصول تلخيص لكتاب « ماكس نوردو » المشهور عن اكاذيب المدنية الحاضرة !

وكان عمله في ديوان الاوقاف مساعدا لكاتب المجلس الاعلى بقلم السكرتارية ، وهي وظيفة من اخطر وظائف الديوان في ذلك الحين ، وكان ذلك بين سني ١٩١٢ — ١٤ .

وكانت الحرب سجالا بـــين الخديوي صاحب اليد المطلقـــة في وظائف دائرة الاوقاف واموالها وطلاب الاصلاح الذين اهتموا بامر واحد هو القضاء على المفاسد في ديوان يرتبط به نظام المعاهد الدينية اشد الارتباط فلا امل في اصلاح هذه المعاهد ، ولا في اصلاح القضاء الشرعي معها ولا في اصلاح الازهر بفروعه .. ما لم تكن دائرة الاوقاف خاضعة للرقابة العلنية !

وهال **العقاد** الفساد الـــذي اصاب دائرة الاوقاف والفضـــائح والرشوات التي غدت سرا مباحا .. وللحد منها اخذ يكتب الى الصحف اقتراحات — بلا توقيع — لعل فيها اصلاح الديوان !

لم يكن عمل **العقاد** في نظـــارة الاوقاف مرضيا في حياته الادبية ولا في حياته المعيشية ، وذات يوم زار المرحوم حافظ عوض ناظر الاوقاف في ذلك الحين محمد محب باشا في مكتبه وبعد حين دخل عليهما العقاد فهش له حافظ عوض وبادره مازحا : « **ماذا تصنع هنا ؟ ان مكتبك بانتظارك في دار « المؤيد » وان عملك الذي خلقت له ان تكتب المقـــالات لا ان تلخص المحاضر والمذكرات ! ان صفحة الادب في « المؤيد » تحتاج الى أديب يتفرغ لها ، ولا ينظر في عمل من اعمـــال الصحيفة غير كتابتها او الاشراف على ما يكتب فيها ! »** .

لم يتردد العقاد في قبول الدعوة لتحرير الصفحة الادبيـــة في شيخ الصحافة العربية لكنه واجه الصعاب في تلك الدار اذ وافق عمله هـــذا الشهور الاخيرة من تاريخ — الخديوية المصرية — قبل الحرب العالمية الاولى فلم يكد يسلخ في « المؤيد » شهرا او شهرين حتى ماجت الدار بالحركـــة التي شغلت رئيس التحرير عن الدار وعن صفحتها الادبية وصفحاتهـــا الاخرى ، وترك العقاد فيها بـــين دسائس القصور ودسائس الصحيفة التي لزمتها من مخلفاتها التقليدية !

كان الخديوي عباس الثـــاني يعلم ان لورد كتشنر يصر على خلعه ويرشح للخديوية اميرا من امراء بيت حليم ، وكان يعلم بان كتشنر لن يغلبه بقوة غير قوة الخلافة في الاستانة او قوة الرأي العام في مصر ، وفي طليعتها قوة المعارضة من قبل الجمعيـــة التشريعية .

الخديوي يزور زغلولا : واما قوة الرأي العام فقد احتاط لها عباس الثاني برحلة شعبية في الوجه البحري وقد تعمد فيها زيارة الاعيـــان في قصورهم والفلاحين بين اكواخهم ، ولج به الحرص على ابراز صداقته للمعارضين في الجمعية التشريعيـــة فجعل اسماءهم في الصف الاول بين اسماء الاعيان الذين تقع قراهم على خط الرحلة ودعاهم الى مصاحبته في غير قراهم واولهم سعد زغلول .

وشاء الخديوي ان يرافقه احمد حافظ عوض رئيس تحرير « المؤيد » في رحلته هذه ليصف الحفـــاوة والاستقبالات التي يلقاها عزيز مصر، وجاء رئيس التحرير الى مكتب **العقاد** ورجاه الاشراف على اخبار المراسلين وتنقيحها بالصيغة الادبية ومراجعـــة رسائل رئيس التحرير قبل اثباتها في الصيغة النهائية ، وهي الصيغة التي ستظهر في « الكتاب الذهبي » .

وانهالت الرسائل كالمطر المدرار من المراسلين واعيان الاقاليم وكل من قا لله الخديوي كلمة او قال كلمـــة للخديوي .

وذات يوم دخل دار «المؤيـــد» مشترك من مشتركي «الكتاب الذهبي» وضل هذا المشترك طريقه الى حجرة العقاد بدلا من حجرة المحرر المنوط بتسلم الرسائل وتسليمها الى **العقاد** بقائمة مكتوبة لايداعها الملفات الى حين الفراغ من تدوينها ، فعلم العقاد من كلام هذا المشترك بانه اعطى المحرر عشرة جنيهات باسم العقاد ، وانه حضر في ذلك اليوم ومعه هدية للعقاد ايضا هي ساعة وسلسال ذهبيان ، وبعد ظهور « الكتـــاب الذهبي » سيتحف العقاد بهدية على — قـــد المقام — !

سمع **العقاد** هذه التصريحات فترك الملفات في اماكنها ريثما يعود رئيس التحرير من الرحلة ، وعاد احمد حافظ عوض فاستعفاه **العقاد** مـــن العمل في « الكتاب الذهبي » وابلغه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما جرى .. وقال له : **« ان محرري « المؤيد » احرار فيما ياخذونه ويدعونه ، ولكنهم لا يملكون ان يزجوا باسم العقاد في معاملاتهم ومبايعاتهم!»**

فتجهم رئيس **التحرير وتوعد** المحرر بالويل والثبور ، وعظائم الامور ووعده بان يكتب غدا في « المؤيد » كلمة تزيل اللبس وتبعد الشبهة عن **العقاد** في امر الكتاب ورسائله واشتراكاته ، ورجا العقاد ان يغض الطرف عن المسألة فلا ينقطع عن العمل في « الكتاب الذهبي » !

في مساء ذلك اليوم زار **العقاد** في مكتبه **المازني ومحمود سعيد** الذي اصبح بعد ذلك مستشارا في المحاكم الاهلية ، ونزل ثلاثتهم الى باب ادارة « المؤيد » بانتظار مركبة تمر بهم ليستقلوها الى ندوتهم المعهودة ، ولم يكادوا ينادون السائق حتى مر بهم احمد حافظ عوض يحييهم بيمناه ويضع يسراه في ابط المحرر « المتهم » وهو مقبل عليه بالضحك والحديث ، ثم صدر « المؤيد » في اليوم التالي وليس فيه كلمة عن الاشتراكات ولا عن « تصحيح الظنون ! » وكان هذا الحادث اخر عهد **العقاد** بـ « المؤيد » واخر عهده بالصحافة قبل الحرب العالمية الاولى !

ويقول **العقاد** ان قصة خروجه من نظارة الاوقاف ثم من صحيفة « المؤيد » ربما كانت قضاء وقدرا ، اما العارفون ببواطن الامور فكان من رايهم ان الخطة وضعت يومئذ في القصر لفصل كل موظف بالاوقاف اشتهر بالمعارضة في نظام الديوان ، وكان من اكبر المعارضين لصفقات السمسرة واستبدال الاوقاف عبد الرحمن فهي (بك) الذي احيل على المعاش .

وكان **العقاد** اصغر المعارضين من الموظفين ، فليفصل بـ «صنارة» الصحافة ثم بمائة سبب وسبب !

٣

بعد ان استقال العقاد من عمله في جريدة « المؤيد » أقام اياما في القاهرة وفي نيته السفر الى الصعيد الاعلى ليمضي موسم الشتاء في اسوان مدينة الشتاء ، وخطط لهذا الموسم مساقا يتألف من المطالعة والتاليف والرياضة والبحث عن التاريخ الطبيعي ومضامين الآثار في المدينة الفنية بالآثار من عهد الفراعنة الى ايام المماليك الى أيام الدولة العثمانية.

وفي طليعة ما كان العقاد ينوي انجازه ، في مسقط رأسه ، تصنيف كتاب اسماه « ساعات بين الكتب » وجعل عنوانه دليلا على موضوعه ، وفي هذا الكتاب سطر العقاد خلاصة مطالعاته وزبدة تعليقاته وصفوة خواطره !

بارح العقاد القاهرة الى اسوان وحظي بموسم خصيب برشحات قلم جبار سخي ، وهناك فرغ من تصنيف كتاب « ساعات بين الكتب » وقد جاء في ٥٠٠ صفحة وقد اودع فصوله زبدة مطالعاته وتأملاته في اهم مذاهب الفكر الحديث ، واولها مذهب **داروين** ومذهب **نيتشه** في « السوبرمان » ، ومن المؤسف ان يضيع هذا الكتاب القيم الذي كتبه **العقاد** تحت سماء اسوان ولم يبق منه غير ستين صفحة وبعد سنوات نشر كاتب **العرب** الجبار كتابا بهذا الاسم واعيد طبعه مرات .

وفي موسم الشتاء هذا فرغ **العقاد** من تصنيف كتاب اخر اسماه « الانسان الثاني » وفيه تناول المراة، واتم رسالة اسماها « مجمع الاحياء » وهو تلخيص للاراء في فلسفة النشوء وفلسفة القوة وفلسفة الفطرة التي تهذبها الرياضة النفسية والاجتماعية.

وتحت سماء اسوان نظم العقاد اكثر من نصف قصائد الجزء الاول من ديوانه ، ومنها قصيدة دالية مطولة نبذها بعد ذلك لانها تعبر عن ومضات من ومضات الفكر لم يبق لها في نفسه سند سليم ولا مسوغ مقبول .

وظن **العقاد** انه هجر المقالة والصحافة ابان اشتائه في اسوان فاذا بمقالة واحدة يكتبها بعنوان « نادي العجول » تكاد تفضي الى نفيه لجزيرة مالطة !

أدركت الحرب العالمية الاولى العقاد وهو في اسوان وأحس هو واحس مواطنوه بوطأة الاحكام العرفية وجور الحكام وحجرهم على الحريات والافواه وبلغ من الطغيان في اسوان ان حاكمها اراد ان يقضي يوما مع اسرته في «الجزيرة المغربية» التي يقصدها الناس للرياضة في ايام الاجازات فارسل « المنادي » الرسمي ليطوف ارجاء المدينة وينذر من تحدثه نفسه بالنزول في الجزيرة ان يوطن نفسه على السيف والنار وخراب الديار ! بالاضافة الى سياسة القمع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقاد العملاق

والطغيان تجنيد اجباري واعتقال متكرر لشبهة وغير شبهة واتاوات تفرض لعلة من العلل المخترعة .. تبرعا للصليب الاحمر .. ترفيها عن المرضى والجرحى .. !

حدثت هذه المخازي على مراى العقاد وسمعه فكتب الى وزير الداخلية والسلطان ونظم قصيدة من الشعر المنثور سماها «نادي العجول»

و« نادي العجول » هذا كان « ناديا » للسادة الحاكمين وسراة القوم في اسوان طلبا للاسلاب والرشوات ، وكانت له سمعة سيئة غير سمعة المقامرة ، وكان الحضور اليه مفروضا على بعض الناس في ساعات معلومة .. كي يخلو الجو لبعض الناس الاخرين !

لم يكن اسمه «نادي العجول» ولكن **العقاد** اختار له هذه التسمية ، لان رؤساءه كلهم من اصحاب الوزن الثقيل .. واضعف اعضائه نفوذا كان في وسعه **نفي العقاد وغير العقاد الى مالطة بجرة قلم !**

نظم العقاد قصيدة « نادي العجول » فتناسخها الادباء وارسلها العقاد الى كبريات الصحف ، وقراها النادي كله في جلسة حافلة من جلساته ، واستفحلت الخصومة بين مدير اسوان والعقاد وليس هنالك من حل الا ان يخرج مدير اسوان من المدينة او يخرج ناظم قصيدة « نادي العجول » !

وفتقت الحيلة لمدير اسوان ان يصدم العقاد بمفتش الداخلية وهو بريطاني فالقى في روعه ان **العقاد** يتهم المفتش بالرشوة ويشيع عنه انه يقاسم الموظفين « اتاوات » السلطة على وظائف العمد والمشايخ و« تبرعات » الاعيان وصفقات التموين ، ولم يكذب المدير فيما ادعاه لان العقاد كتب في الواقع وقال واعاد ان المفتش البريطاني يقبل الرشوة ويفرضها على مرؤوسيه !

واستدعى المفتش البريطاني **العقاد** الى ديوان المديرية فقال فيما قال في حديث طويل بالانكليزية : « لا يوجد بريطاني مرتشر CORRUPT في الحرب ولا في السلم ! » فكان جواب العقاد : « **ان الانكليز جديرون بالتهنئة لانهم تغيروا كثيرا بعد حرب الترنسفال !** »

والمعروف ان حرب الترنسفال قد كشفت عن فضيحة من اشنع الفضائح في الحرب والسلم اثناء القتال وبعده ، وهنا وقف المفتش البريطاني الى جانب المدير في طلب اعتقال العقاد واقصائه من اسوان وقال عنه انه اخطر من ناظر مدرسة المؤاساة الاسلامية الذي نفته السلطة الى مالطة !

واطلع احد قراء مقامة « نادي العجول » على التقرير السري الذي كتبه المفتش البريطاني ونقحه بعد مراجعة المدير فابلغ العقاد ذلك فوطد العزم على الرحيل من اسوان ، ورغم وجود رقيب رسمي لازم باب الدار بالليل والنهار اعد العقاد مطية تحمله من اسوان الى القاهرة « متنكرا » قبل ان يعود منها جواب المسؤولين عن تقرير المفتش والمدير ، وبعد يوم من وصوله الى القاهرة زار صديقه الاديب **جعفر والي « باشا »** وكيل وزارة الداخلية ثم تتابعت الايام والتقارير « السرية » تصل من اسوان بتفصيلات المؤامرات التي يدبرها العقاد والاحاديث التي يذيعها والاقاويل التي يثير بها الخواطر ويستحق من اجلها الاعتقال والنفي من اسوان !

و في القاهرة كان وكيل الداخلية يصطحب العقاد كل يوم الى مكتب المستشار البريطاني ويشهده على وجوده في القاهرة بعيدا عن اسوان باكثر من ستمائة ميل !

وعلى ضوء هذه المفارقات يخرج المدير من اسوان ثم يتلوه المفتش .. ويصدر الامر باحالة المدير على التقاعد ، ويعرف العقاد اسم المدير الذي خلفه فابرق الى اصدقائه في اسوان : « شر مدبر وخير مقبل ! »

وضاق الانكليز ذرعا بمشكلة الرقابة على الصحف العربية ففاتحوا بالامر جعفر والي « باشا » وكيل وزارة الداخلية وصديق العقاد وسألوه ان يختار لرقابتها اديبا مصريا يصلح لهذه المهمة ففاتح **العقاد** بالامر وسأله ان يقوم باعباء هذه الامانة الشاقة فقبل العمل في الرقابة ما دامت الرقابة من المصالح العامة في ايام الحروب !

وبعد ثلاثة ايام تلقى **العقاد** تنبيها وسؤالا عن اخبار تركها للنشر ولم يحذفها !

وبعد ثلاثة ايام اخرى استدعاه الرقيب العام ، وهو بريطاني ، فلما دخل المكتب سأله الرقيب مقطبا وهو يقدم له رزمة من جزازات الصحف اليومية والاسبوعية وسأله :

— **« هل راجعت هذه الاخبار ؟ »**

— نعم !

قال الرقيب : « وكيف تبيح نشر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاخبار المقلقة التي من هذا الطراز ؟»

قال : **« انها تباح في الصحف الانكليزية ويباح لتلك الصحف ما هو أخطر منها بكثير ! »** .

فصاح الرقيب : « الصحف الانكليزية .. هل انت من الحزب الوطني ؟ »

قال العقاد : **« أنا مصري وطني بطبيعة الحال ! »** .

وخرج العقاد وقدم استقالته من مهمة الرقابة ! وعمل مدرسا في مدرسة وادي النيل ، وعمل معه **المازني** في طائفة من كبريات المدارس الثانوية بالقاهرة وجرت العادة في كل مدرسة ان ينتهي عملهما فيها بازمة من ازمات الخلاف على تصحيح اوراق الامتحان .

وبعد ايام وجد **المازني** عملا في المدرسة المصرية الثانوية ، وظل العقاد بلا عمل ، وذات يوم جاءه رسول يقول له : **« انك مطلوب للتحرير في صحيفة « الاهالي » بالاسكندرية وعليك ان تستعد للسفر خلال اسبوعين أو ثلاثة ، ولدي تفويض بنقدك مرتب شهر ونفقات السفر وتعديل المرتب ان كنت لا ترضاه ! »**

فقال العقاد للرسول : « لا حاجة الى المراجعة الان ولعلها في الاسكندرية اجدر وايسر ! » وانثنى الى غرفته يعد حقيبة السفر ويختار ما يحمله من الكتب الى الاسكندرية .

كان في الاسكندرية عهد ذاك ثلاث صحف يومية هي « البصير » و« وادي النيل » و« الاهالي » ، وكانت الاولى صحيفة القطن والتجارة وكانت الثانية صحيفة المجلس البلدي او صحيفة المناورات والمنازعات بين اعضائه واحزابه ، اما « الاهالي » فقد كانت في نشأتها صحيفة شبيهة بالرسمية يشترك فيها مئات من الموظفين والعمد والاعيان لانها لسان حال رئيس الوزارة عهد ذاك محمد سعيد « باشا » وكان هذا احد الساسة القلائل الذين فهموا في ذلك العهد ضرورة الاتصال بالراي العام ووجوب الاعتماد على الصحافة التي تعارض الوزارة ، فاوعز الى طائفة من اصدقائه الاسكندريين بانشاء « شركة الطبع والنشر الاهلية » واستهلال عملها باصدار صحيفة يومية تدافع عن وزارته وترد هجمات الصحف المعارضة ، فاختاروا اسم « الاهالي » لصحيفتهم عمدا لانه اسم قديم لصحيفة كان يصدرها اسماعيل اباظه « باشا » ولان اسم «الاهالي» يقابل اسم « الشعب » واسم «الامة» مصوغا بالصيغة التي تدل على معنى « الرعية » ولا يفهم منها معنى المقاومة والثورة .

وظلت « الاهالي » صحيفة الحكومة الشبيهة بالرسمية الى ان سقطت وزارة محمد سعيد « باشا » وخلفتها وزارة حسين رشدي «باشا» التي اعلنت الحماية على مصر في عهدها ، فلبست « الاهالي » بعد ذلك لباس المعارضة في حدود الظروف التي تسمح بها الحرب والرقابة !

واوشكت « الاهالي » ان تحتجب بعد اعتزال الوزارة السعيدية وقيام الوزارة الرشيدية لان مشتركيها من الموظفين والعمد قطعوا اشتراكاتهم فيها ، ثم جاء كساد الصحافة بعد فرض الرقابة عليها ونشوب الحرب العالمية الاولى ، وبعد عام من ذهاب الوزارة السعيدية وانقطاع الاشتراكات عنها ظلت « الاهالي » تصدر بالورق المخزون لديها ، وبقي العقاد في قلم تحريرها الى نهاية الحرب العالمية الاولى وظهور الدعوة الوطنية على **يد الوفد المصري بقيادة سعد زغلول .**

وافترقت الخطة العامة بين « الاهالي » و« الوفد » فتركها العقاد وعمل في « البلاغ » الصحيفة التي كانت تجري يومئذ على تلك الخطة وكان « كاتب الوفد الاول » .

وقامت الثورة المصرية بزعامة سعد زغلول عام ١٩١٩ فاشترك العقاد بقلمه في هذه الثورة مؤيدا المبادىء الوطنية والسياسية التي كان يؤمن بها ، حتى اعتزل السياسة في عام ١٩٣٥ حين افسدتها الحزبية.

وفي اكتوبر من ذلك العام اقسم العقاد لزعيم الوفد - وهو يشير الى قلمه الرصاص الذي كان يكتب به مقالاته وكان يحمله وقت جداله معه في بيته بالاسكندرية — الا ينتهي هذا القلم حتى تنتهي وزارة محمد نسيم « باشا » من دست الحكم . وقد صدق العقاد فيما اقسم به . فما كاد يمضي اليوم الرابع من كانون الثاني ١٩٢١ حتى استقاله وزاره **نسيم** استقالة اشبه ما تكون بالاقاله!

واصر العقاد على مخالفته لزعيم الوفد في سياسته التي كانت تهدف الى تولي الوزارة في ذلك الحين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقاد العملاق

مع مهادنه الاستعمار ومالأة مندوب المستعمرين في مصر ، واشتد في حملته على الوفد في معارضته . واحتد زعيم الوفد ، وهو يجادله في اجتماع ضمه وضم سكرتير الوفد وبعض اعضائه، وذكره « بانه زعيم الوفد » فقابل العقاد احتداده باشد منه واجابه قائلا :

« انك زعيم الوفد لان هؤلاء الذين حولك أجلسوك على هذا الكرسي ، اما انا فان قلمي وحده هو الذي وضعني في مكان قدره رئيسك سعد زغلول وقدرته الامة ! »

وانفصل العقاد عن العمل مع عبد القادر حمزه في « البلاغ » وشرع ينشر مقالاته في صحيفة « روز اليوسف » فحاربها الوفد حتى عطلها واتفق مع عبد الحميد حمدي على اصدار جريدته « الضياء » وصدر العدد الاول منها بتاريخ ٨ شباط ١٩٣٦ في اثنتي عشرة صفحة وقد افتتحه العقاد بمقال عنوانه « عهد وذكرى » لكن خصومه حاربوا هذه الصحيفة فقتلوها في مهدها ، فانصرف العقاد عن السياسة الى الكتابة الادبية وتصنيف الكتب .

وبعد انشقاق الوفد الثاني بزعامة **احمد ماهر « باشا »** وتأليف « حزب السعديين » اصدروا جريدة « الدستور » وطلبوا من العقاد ان يراس تحريرها فلم يقبل . ولما اصدر هذا الحزب جريدة «الاساس» كان **محمود فهمي النقراشي « باشا »** زعيم هذا الحزب ورئيس الوزارة وقتئذ بعد **مقتل احمد ماهر « باشا » فالح على صديقه العقاد ان يسهم في تحرير « الاساس » فاخذ يكتب مقالاته السياسية مستقلا في ارائه التي يراها في الاحداث الوطنية ، وخصص يوم الاثلاثاء للكتابة الادبية ولكن جهده الاكبر ، منذ تعطلت « الضياء » سنة ١٩٣٦ ، قد انصرف الى تصنيف الكتب وتحرير الفصول الادبية في المجلات الاسبوعية والشهرية .**

(١) (١٨٤٣ — ١٨٩٦) كاتب وشاعر وخطيب وصحفي ، ولد بالاسكندرية وحفظ القرآن الكريم واشترك في الثورة العراقية بقلمه ولسانه وبعد فشلها نفي الى (بافا) ثم عفي عنه ثم نفي الى الاستانة ومات فيها .

(٢) تاريخ ظهورها في تشرين الثاني ١٩٠٧

(٣) تاريخ ظهورها في ٢ كانون الثاني ١٩٠٠

(٤) لصاحبها الشيخ يوسف الخازن

بسم الله الرحمن الرحيم

● مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين » .

صدق الله العظيم

°

● كان **قتيبة بن مسلم** قائدا من نوابغ القادة المعدودين الذين انجبتهم الامة العربية في صدر الاسلام . وكان يلي خراسان لملوك الدولة الاموية ، فخرجت بها خارجة اهمته فقيل له : **« ما يهمك منهم ؟ وجه اليهم وكيع بن ابي مسعود فانه يكفيهم » .**

فابى . وقال : **« ان وكيعا رجل به كبر يحتقر اعداءه ، ومن كان هكذا قلت مبالاته بعدوه ، فلم يحترس منه فيجد عدوه منه غرة » .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إلى عائدة ...!

مقبل عبد العزيز العيسى

أختـــاه .. مـــا أقساه من قدر
ان يفقد المرء .. الـــذي أغلى !!
حسب القضا .. ان تخسري وطنا
في غربـــة .. او تفقدي .. أهلا !!
حسب القضا .. ان تصبحي هدفا
لليأس .. او ليل الاسى ثكلى !!
قلبي لما تلقـــين .. من كـــدر
قد كاد من فرط الاسى .. ييلى !!
يـــا للقضا .. كم جرحت يـــده
زهر الرياحين .. وأمطرت وحلا !!

★★★

أخت الشذى .. لا تجرحي كبدي
بدموع هذي الاعين .. النجلا !!
صوني جمـــال العين .. يا ملكا
عيناه .. كاللذات .. بل احلى !!
لا تعذلي .. فالنفس مـــا منعت
عنك المنى .. أو أصعبت سهلا !!
مـــا حيلتي .. أختـــاه أن بطشت
كف ، بمن ترجينـــه ، سفلى !!
ان أوصدت كف العدا وطنـــا
واستسعرت في أهلـــه قتـــلا !!

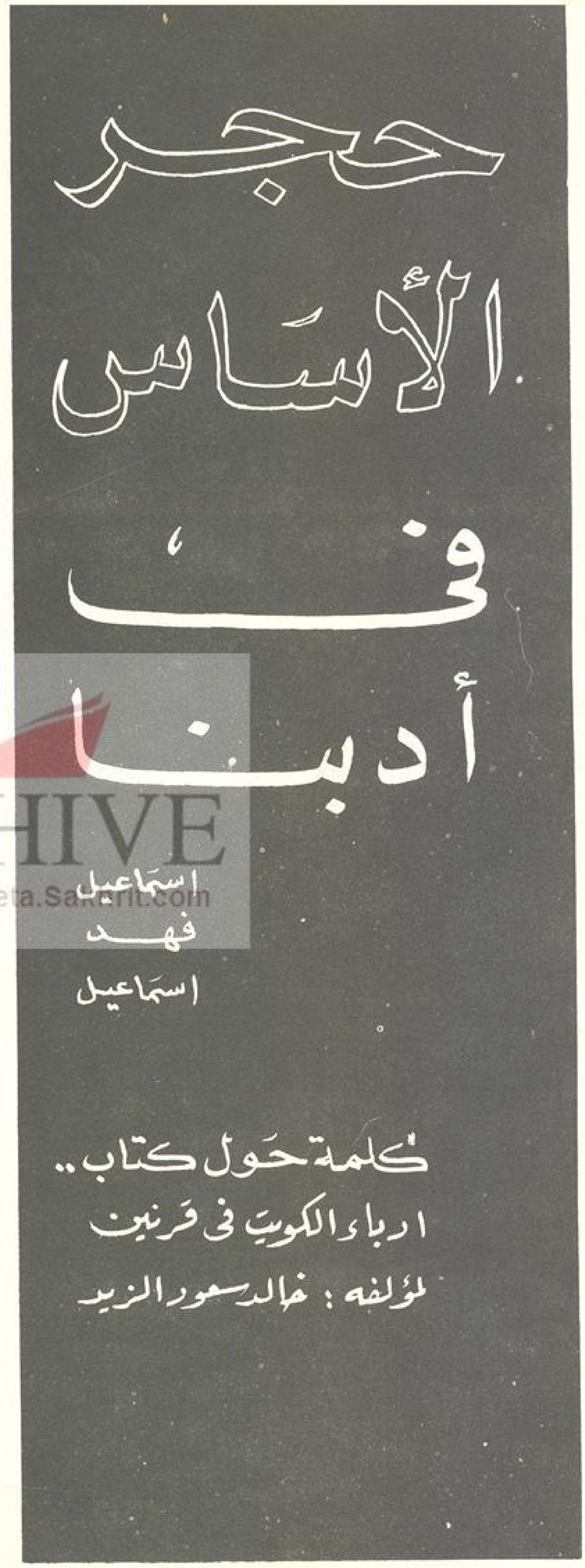
لا تيأسي .. فالحق مـــا برحت
قدماه ، فوق جبينهم أعـــلى !!
لا تجزعي .. هذا الشقـــا قدر
والنصر من بعد الشقا .. أغلى !!
يكفيـــك من أدمى مخالبـــه
نودا عن الاوطـــان .. أو أبلى !!
يكفيـــك من ترتـــد غصتـــه
في حلقه ، ممـــا جرى ، نصلا !!
أما الذي قـــد أبرمت يـــده
أنشوطة .. قد أحكمت فتـــلا !!
سترد شمس الحق طلعتـــه
لتغيب من هـــذا السنا خجلى !!

★★★

أختـــاه .. بـــل أدعوك سيدتي
لا ذقت رغم النكبـــة .. الذلا !!
صوني جمـــال العين .. وابتسمي
للصبح من بعد الدجى .. جذلى !!
لا تحزني .. أفديـــك يـــا ملكا
عيناه .. كاللذات بـــل أحـــلى !!

★
★
★

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نادرة هي الكتب التي تحمل أسماء كويتية ، بيد ان الذي يعزى المتتبع للحركة الادبية في الكويت هو ان هذه الكتب رغم قلتها فهي تكاد تفي حق المواضيع التي تتناولها . او بالاحرى تكاد تسد فراغا هو أحوج ما يكون الى الملء .

وتشاء الظروف الطيبة ان يطلع علينا ربيع هذا العام بكتابين لاديبين عملا ويعملان لدفع عجلة الادب والفكر في هذه البقعة . وأعني بهما الاستاذين خالد سعود الزيد وعبد الرزاق البصير .

والمتتبع ــ ايضا ــ للحركة الادبية هنا بستطيع ان يلمس مدى الجهد والتضحية والمعاناة المبذولة في اخراج اي من الكتابين الى حيز المكتبات .

اذ ان عقبات الطباعة ووسائل النشر والاعلان .. ناهيك عن ندرة القارىء الناقد .. كل هذه غنية عن التعريف. أضف الى ذلك الخسارة المادية التي لا بد منها.

وسأحاول في كلمتي هذه ان استعرض كتاب (أدباء الكويت في قرنين) .

★★★

ترجمة لعشرين من ادبائنا وشعرائنا يتضمنهم كتاب جميل بتواضع اخراجه واناقة طباعته . يتألف من حوالي ٢٥٧ صفحة من القطع فوق المتوسط .

والكتاب ــ في الحقيقة ــ ادى خدمتين كبيرتين . الاولى .. سد الفراغ الذي تحتاجه المكتبة الكويتية حيث انه سيكون نقطة الانطلاق لدراسات موسعة وشاملة ، والثانية القاء الاضواء على اسماء كادت تنسى .. او بالاحرى نسيت في خضم النهضة المادية التي تجتاح الكويت .

ونحن عندما نتناول الكتاب آنف الذكر يتوارد الى ذهننا ما قدمه الاستاذ **خالد** منذ سنوات حينما تفرغ لجمع الامثال الكويتية والتعليق عليها .

وتشاء عزيمة الشاعر المؤلف ان يكون الجامع في الحالتين . لكن الجمع الذي بين يدينا الان يختلف كل الاختلاف عن جمع مضى .

فالجهد والوقت والمراجع وكل الذي بذل في سبيل اخراج الكتاب الاخير يكاد يكون اضعاف ما بذل في سبيل اخراج الكتاب السابق .

يطالعنا الكتاب بمقدمة موجزة في حجمها ، شاملة في معناها ، فقد عمد المؤلف الى تقسيم التطور الذي مر به الادب الكويتي الى مراحل رئيسية اربع .

بدأت المرحلة الاولى بهبوط عبد الجليل الطباطبائي الكويت عام ١٨٤٣ ميلادية ، راميا من وراء طموح عبد الجليل الى انه الشرارة الادبيــة الاولى التي لمعت في سماء الكويت .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا هنا لست بصدد تأكيد او تفنيد راي الاستاذ خالد ، فانا وكذلك المتتبعون الاخرون — على ما اظن — نفتقر الى المرجع الاكيد . وعليه فليس امامنا غير الاخذ برأي المؤلف راجين ان يكون اجتهاده قد أصاب كبد الحقيقة .

اما عن المرحلة الثانية فقد عمد المؤلف الى ان يسايرها مع **عبد العزيز الرشيد** موردا امثلة كثيرة على ما بذله المرحوم عبد العزيز من جهود رشحته لان يكون — بحق — رائد النهضة الفكرية في هذا البلد .

ثم تبدأ المرحلة الثالثة مع بداية الانطلاقات في البلدان العربية ، وارسال اول بعثة تعليمية الى مصر ، الى جانب اصدار الاستاذ السقاف لمجلة **كاظمة** ، واصدار نادي المعلمين مجلة **الرائد** ..

وتأخذ بنا هذه المرحلة من اربعينيات هذا القرن حتى عام ١٩٥٨ .. اي صدور مجلة العربي .

★★★

الهدف من جمع آثار شعراء وادباء الكويت في الكتاب هو حفظ تراثهم من الضياع وجعلهم في متناول راغب الدراسة .

والجمع اما ان يكون مجرد جمع بدون تعليق (الجمع المنهجي) .. أو جمعا مشفوعا بدراسة توضيحية (محايد) .. أو جمعا مزودا بدراسة نقدية (دراسة) .

ولقد لجأ الاستاذ خالد الى الاخذ بالجمعين الاولين معا ، فمرة يزودنا بنبذة عن حياة الشاعر ثم يعرض نتاجه ، كما فعل مع سيد مساعد الرفاعي ومحمود شوقي الايوبي واحمد خالد المشاري .. ومرة يطعم ترجمته بتعليق وشرح نحن احوج ما نكون لان نراه عبر كل ترجمة ، كما فعل مع الطباطبائي ، وصقر الشبيب ، وخالد الفرج ، وتكاد لا تبين الحالات القليلة التي تطرق اليها المؤلف في محاولات نقدية . والسبب على ما اظن يعود الى المنهجية الطاغية على الكتاب ، فهي كما هو متعارف عليه تأخذ الكاتب عبر قوالب لا يستطيع منها فكاكا .

وانا لست بصدد لوم الاستاذ خالد على طريقته ، بيد اني في نفس الوقت اطالبه ان يتفرغ لدراسة كل اديب ورد في الكتاب على حدة . ولم لا ؟ ما دام هو اقرب الادباء الكويتيين المعاصرين الى هؤلاء خاصة وانه عاش في خضم صراعهم الادبي والحياتي من خلال نتاجهم الذي بذل الاستاذ خالد في سبيل جمعه وتنسيقه واخراجه ما اعجز الكثيرين عن رصد انفسهم لمثل هذه المهمة . ولن اكون مبالغا لو قلت .. ان صداقة متينة نشأت بين المؤلف وبين شخصياته العشرين ، بعد ان عانى مع نتاجهم ، وجمع اخبارهم وتنسيق آثارهم ما عانى ، وسهر الليالي معهم . وخير دليل على قولي هو هذا التعاطف والانجذاب الخفي الذي يحسه القارىء ازاء اي من العشرين ، واخص نخبة منهم .

فالقارىء عبر تدرجه بالاطلاع يحس مشاركة خاصة بينه وبين المؤلف ، وكأنه بصدد رعاية شيء ثمين يجب ان تتعاون عليه الاطراف المعنية .

وبطبيعة الحال ما تولدت هذه الجاذبية الا من خلال حب المؤلف لشخصياته من جهة ، ولكونه شاعرا قبل كونه كاتبا من جهة اخرى ، اذ ان اسلوبه الشعري زود جمله بموسيقية خاصة تكاد ترتفع بالاسلوب الى مستوى الاثار المعروضة .

كما يجب الا يغيب عن بالنا الجهد الذي بذله المؤلف من اجل تزويد الكتاب بالصور الشخصية للادباء ، خاصة وان هذا العمل سيعطي القارىء اكثر ايحاء بالنسبة للاثار التي يطلع عليها .

علاوة على تذييله للكثير من ترجماته وتزويدها بمعلومات وافية عن المراجع من جهة ، وتوضيح الغامض فيها من جهة اخرى . لا لشيء الا لاستكمال الغرض المرجو من الكتاب .

★★★

بقي لدينا ان نتساءل عن الجزء الثاني من الكتاب ، وهل — حقا — سيستطيع الاستاذ خالد ضم الادباء الذين تبقوا لديه ضمن جلادي كتاب واحد .. ام ان الحرارة والصدق اللذين لمسناهما في الكتاب الذي بين يدينا ستأخذان بيد المؤلف الى توسع اكثر وتطلع اشمل — كما نرجو — فيجود علينا جهده وتفرغه المخلص لخدمة حركة الادب في بلاده بجزئين آخرين ، او ربما اكثر ، فيصبح الطريق اكثر تمهيدا امام كل ذي غيرة على ادبه فيتناوله بالدرس والتحليل ، وتتضافر الجهود وتتحد من اجل اعادة تصنيف وجمع ودراسة ادب ايامنا الخوالي ، والذي هو حجر الاساس ونقطة الانطلاق لادب معاصر خلاق .

وقبل اسابيع اطلعت على مقال للزميل سليمان الشطي قال فيه **(وسينال — الكتاب — حقه من عدم التقدير ، وسيظفر بالتحقير والتقليل من الشان) ..**

لا استطيع معارضة الاخ سليمان فهو ما قال غير الحق . لكن كتابا هو الاول من نوعه في تخصصه من اجل جمع شمل ادبنا الذي كاد غبار النسيان يغطيه ، علاوة على الاخلاص في الجهد والعمل والتزام الحياد في عرض آثار بناة حضارتنا .. لا بد وان ينال رعاية ليس المثقف الكويتي فقط ، بل وكذلك الجهات المسؤولة ، واظن ان جامعتنا الفتية هي احوج ما تكون الى كتاب مثله ، خاصة وان (الاداب) تعنى بدراسة الادب .

وهل هناك ما هو اوجب بالدراسة الادبية — بالنسبة لنا — من الادب الكويتي ؟؟

وسابقا شد الاخ سليمان على يد المؤلف . واظنني احرى بالشد على يديه الاثنتين ..

معلّقة فلسطين

للشاعر الاستاذ فاضل خلف

اخرستني نوب الدهر العنيد ... فجفتني ربة الشعر النضيد
وغدت قيثارتي صامتة ... لا تبث الفن من قلبي العميد
واناشيدي التي صفت بها ... ذوب قلبي اصبحت رهن قيود
وبدا افقي جهما مظلما ... لا ترى فيه تباشير السعود
هو افق قد توارت شمسه ... خلف استار من الظلم المبيد
موقف قد جهمت اطرافه ... قصة الالام في الشعب الشريد
قصة دامية جاءت بها ... خيبة العدل وتجار الوعود
اتراهم فكروا اذ وعدوا ... بمئات شيبت قلب الوليد
ويحهم هل غاب عنهم رشدهم ... حين املوا وعد بلفور العنيد
ويحهم هل كانت الارض لهم ... ليصكوا الحق بالوعد الفريد
لطموا الحق بوعد رائف ... وتمادوا في عتو وجحود
جحدوا الفضل فاضحى ثاويا ... في رموس ((كالحات)) ولحود
هكذا يفعل ارباب الهوى ... من اولى القوة والباس الشديد
هكذا يفعل قوم بلغوا ... ذروة العلم وافاق الوجود
ملكوا ناصية الدهر ولو ... انصفوا كانوا مزامير الخلود
لكن الاطماع قد اعمتهم ... فغدوا كالوحش في غاب وبيد
هزئوا بالحق يا ويحهم ... واستباحوا حرمة العهد العهيد
وسعوا في قتل شعب آمن ... لم يروا منه سوى الخير الرغيد
مزقوه واستباحوا قدسه ... فغدا نهبا لشذاذ اليهود
قد جفتهم كل ارض حرة ... وقلاهم في الورى كل رشيد
شردوا في الارض لكنهم ... في فلسطين رأوا خير مهود
فغدا الغاصب في نعمائه ... راقصا بين زهور وورود
وغدا اهل فلسطين وهم ... في ملمات وفي عيش نكيد
اخرجوا بالغدر من اوطانهم ... فغدت العوبة الشعب الطريد

★ ★ ★ ★

ايها التاريخ سجل بالاسى ... قصة المأساة والشمل البديد
قصة دامية محزنة ... سطرتها غدرة ((الخل)) الجحود
وافض في ذكرها ان بها ... عبرة الاجيال والدهر الابيد
وابن في صفحات حرة ـ ... غضبة الاحرار للعدل الوئيد
فلقد ضج له اهل الحجا ... ببيان واضح القصد مجيد
عل في ذكراك نفعا للالى ... صرعوا العدل وخانوا بالعهود
يا فلسطين لقد طال السرى ... فتطلعنا الى الافق البعيد
علنا نلمح في انحائه ... مطلع الانوار والمجد التليد
علنا نرمق في اطرافه ... شعلة الثورة مع خفق البنود
علنا نسمع في ارجائه ... صرخة الاحرار للثار العتيد
بيد انا لم نجد غير دجى ... وغمامات من النكبة سود
جعلت امالنا خائبة ... بزمان النصر والفجر الجديد
احقيق ما نرى ام انه ... من اضاليل خيالات الهجود
اين ابطالك قولي اغدا ... جمعهم بين فقيد وشهيد
اين ابناؤك انهم ... ضربوا في كل قفر وصعيد
تركوا الدار وما كان لهم ... في صعاب الدهر عنها من محيد
تركوا الدار التي آوتهم ... ورعت اباءهم بعد الجدود
خرجوا لا عن قلى او نفرة ... او فتور الحب او نفس زهود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فمعـــاذ الحب ان يقلى الورى ... وطنـــا فاض بئـــالاء وجود
بـــل هي الاقـــدار في غضبتهـــا ... فرضت سطوتهـــا رغم الجهود
لهف نفسي لصفـــــار روعوا ... وشيوخ ــ فقدوا الاهـــل ــ قعود
لهف نفسي لنســـــاء ثكلت ... بفراق الولـــد والزوج الودود
لهف نفسي لجمـــوع سلخت ... حقبـــة ما عرفت ايـــام عيد
لهف نفسي لكهـــول ودعـــوا ... امل الدنيـــا ــ وشبان وعيـد

★ ★ ★ ★

حدثينـــا يـــا فلسطين فقـــد ... شفنا الوجد لمـــا خلف السدود
كيف بياراتـــك الزهر وهـــل ... اقفرت من اغنيـــات وقصيـد
والروابي الفر مـــا حل بهـــا ... بعـــد هجر الاهـــل للربع المشيد
والجبـــال الشم في منعتهـــا ... والمروج الخضر في يوم الحصيـد
كيف شطآنـــك في اشراقهـــا ... واصطفاق الموج في البحر المديـد
كيف اطيـــارك هـــل ظلت على ... ســـابق العهـــد بترديد النشيـد
كيف ساحاتك ــ بالله ــ وهـــل ... ودعت الحـــان قيثـــار وعود
اين امجـــادك هـــل ازرت بها ... حادثات الدهر بالغدر الاكيـــد
والبطولات احقـــا صرعت ... وتلاشت بـــين وعـــد ووعيد
وذرا حيفـــا ويافـــا هل غدت ... مربعـــا خصبا لغدرات الضديد

★ ★ ★ ★

برح الشوق فلسطـين بنـــا ... لربوع المجـد والعهـد السعيـد
واستبد الشوق في انحائنـــا ... فاعيدي ســالف المجد اعيـدي
وابعثي النخوة في اســد الحمى ... ورجال ــ يصنعون المجد ــ صيد
يؤثرون الموت في ســاح الوغى ... ومجاليها ــ عَلى عيش العبيـــد
يجتوون الـــذل في اصفـــاده ... ويطيحون باســـلاك الحدود
لا يهـــابون صواريخ العـــدا ... لا . ولا يخشون طـــاقات الحشود
واذا مـــا النـــار في افاقهم ... غشيتهم هتفوا : هل من مزيـد
يـــا فلسطين اهتفي ثـــم اهتفي ... بهم يـــأتوك بالعزم الوطيـــد
انهم فتيـــان صـــدق هزئوا ... بمعدات ونـــار وحديـــد
وهـــم فخر الاعـــاريب اذا ... اغطش الليل . وهم خـــير جنود
فاســـألي الامجـــاد عنهم فهم ... في ذرا اوراس او في بور سعيـد
واذكـــري بطشهم في خصمهـــم ... صاحب العـــدة والجيش العديد
حـــين اردوا بغيـــه في غضبـــة ... احرقت سورتهـــا كـــل مريـــد
مزقوا اوصـــاله في عزمـــة ... ذكرتنـــا بمضاء ابن الوليـــد
عزمـــة صـــارت على الدهر سنى ... ومنـــارات لتمزيق الجمـــود
اسندتهـــا صرخـــة الاحرار في ... مغرب الارض وفي الشرق الصمود
ايدوا الحريـــة السمحاء اذ ... ايدوا الاحرار في الراي السديـــد
ايدوهم بفعـــال حـــرة ... وبقول واضح غـــير رديـــد
هكـــذا الاحرار في افعـــالهم ... هكذا الاحرار عشـــاق الصمود

★ ★ ★ ★

يـــا فلسطين كـــاني بالحمى ... زلزل الارض على الخصم اللدود
فاعصفي بالقيـــد لا تنتظري ... واحبطي كيـــد اعاديـــك وزيدي
واطلقي الالحان في رحب القرى ... واهتفي يا عزمـــات العرب عودي
وانشري في الافق اعـــلام الهدى ... وتغني بالبطولات وجـــودي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أَملُ الأَعمَاق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما احوجنا الى المعرفة العميقة الضاربة الجذور ، وما احوجنا الى الدليل الذي يرسم امامنا طريق العودة ، حاملين معنا كل آمالنا ومتمثلين كل الام النكبة ، طريقا نقطعه ليقصر مسير العوده ، فنحن على ثقة ويقين في ذلك ولا شك .. طال الزمان ام قصر فنحن لا ننسى تلك السنوات الطوال التي عاشها الصليبيون في بلادنا ، ولكن سرعان ما كان البحر مقرهم الاخير ولن يكون حال اليهود باحسن من حالهم .. وهذه العودة اصبحت الان — وبعد هذا الاحتكاك الرهيب مع الصهيونيـــــة والاستعمار — اصبحت هذه العودة متبلورة في الافق وقد برزت وشمخت حتى اصبحت في متناول اليد او بين اليدين رغم كل الظواهر المحيطة بالجو العربي في هذه الفترة من الزمان ..

والان .. ونحن نحاول ان نبدل ونغير في سياساتنا العامة التي ستقربنا من الطريق .. في هـــذا الوقت نسمع اصواتا ترتفع .. وترتفع مقترحة ومطالبة في ان نتعلم من اعدائنا ، ان نتمثل خططهم وندرسها الدراسة العميقة ونقتبس منها ما نقتبس .. وهذا كلام يصح كله او بعضه ولكنه ليس الطريق الواضح الذي نريده فنحن نقف من حيث الحق والمطالبة موقف اخر غير موقف تلك العصابا توحي بنا ان تكون خططنا مبنيـــــة على اساس الخطر الذي يحيط بنا ، واذا كان هناك خطة مرسومة فسنأخذها فعلا من الارض المحتلة ، ولكن ليس من لصوص السلطة بل من اصحاب الحق ، من اهلنا في فلسطين المحتلة . من اولئك الذين عرفوا كيف يتمسكون بذرات ترابنا العربي من اولئك الذين تصرخ اعماقهم قائلة :

ربما تطفىء في ليلى شعلة

في أدب المقاومة

سليمان الشطي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ساقاوم ..

ربما احرم من امي قبلة
ربما يشتم شعبي وابي ، طفل ، وطفلة
ربما تفنم من ناطور احزاني غفلة
ربما زيف تاريخي جبان
وخرافي ءؤله
ربما تحرم اطفالي يوم العيد بدله
ربما تخدع اصحابي بوجه مستعار
ربما ترفع من حوالي
جدارا وجدارا وجدار
ربما تصلب ايامي على رؤيا مذله
يا عدو الشمس
لكن لن ابساوم
والى اخر نبض في عروقي

من هذه الاعماق ستكون مادة دروسنا . ومن هذه النفوس سننسج خريطة العودة فنحن بحاجة ماسة لهم بينما كنا — وطوال عشرين سنة — كنا نعتقد انهم هم الذين بحاجة لنا ولكن الكتاب الذي بين يدينا والذي حمل الينا ذلك التصميم الصافي الصادق . والذي كشف لنا الحقيقة التي نسعد بها كل السعادة .. مجموعة من القصائد نظمها الامل المقاوم وصدح بها الحق وطار بها الشوق . وجاءت لتعطينا الصورة المضادة لادب النكبة عندنا . فحتى غسان كنفاني نفسه . وهو من الادباء الذين سخروا انفسهم للتعبير عن النكبة . حتى غسان نفسه لم يستطع ان يبرز لنا النقطة المضادة للالم بالرغم من نجاحه الساحق في الارتفاع الى مستوى النكبة ولعل

وجوده خارج فلسطين سلبه تلك الروح التي حملها الينا في كتابه هذا عن ادب المقاومة .. اذا فنحن امام كتاب نقل الينا مخزون العشرين سنة من المقاومة العنيفة التي ليس فيها مجال لليأس او الاحساس بالضيـــاع فمن تلامس اصابعه تراب ارضه ومن يلعق ترابها لن يشعر بالضياع ابدا . ما احوجنا الى التعلم من « ربما » في قصيدة سميح القاسم التي انترعنا منها المقطع السابق ولا تقف « ربما » وحدها بل معها الف شبيه لها ، بل تعال ولننزع مقطعا اخر من قصيدة اخرى للشـــاعر مقطعـــا هي قصيدة « الجواد الجامح » لنسمع ، ولنلاحظ القسم ولنرتل :

يمينا ايها المولى
يمينا ايها الجاعل من اشواكنا فلا
يمينا لن نبيع الجرح
مهما بساومت مديه
ولن تبقى شقيقتنا
طوال الدهر .. مسبيه

لنرتل هذه الابيات لننقشها في الصدور لنتعلم .. ولنتعلم كيف ندرك اعماق شعبنا الاصيل الذي يكون عنده الشوك كالفل في سبيل تراب الوطن ، هذه الاصالة التي تتشبث حتى بالجرح لانها تأبى المساومة مهما كانت وكيفما كانت ..

ان هذه القصائد التي بين يدينا اعطتنا الاجوبة الشافية عن كثير من الاسئلة الحائرة على الشفاه وعلى كل التساؤلات التي فاض بها ادباء النكبة .. صمتا .. ولنرتل مع **توفيق زياد** بعض مقاطعمن قصيدته المستحيل:

اهون الف مره
أن تدخلوا الفيل بثقب ابره
وان تصيدوا السمك المشوي في المجره
ان تحرثوا البحرا
ان تنطقوا التمساح
اهون الف مرة
من ان تميتوا باضطهادكم وميض فكره
وتحرفونا عن طريقنا الذي اخترناه
قيد شعره
كاننا عشرون مستحيل
في اللد والرملة والجليل

صوت يهدر بالصدق والتصميم لا نلحظ الا تلك الروح التي اتمنى ان يدرك ابعادها اولئك الذين طريقهم يأس وحلمهم يأس ويتحدثون كثيرا ، ولنرتل مرة ثانية مع الشاعر :

انا هنا باقون
فلتشربوا البحرا
نحرس ظل التين والزيتون
ونزرع الافكار كالخميرة في العجين ..
برودة الجليد في اعصابنا
وفي قلوبنا جهنم حمرا
اذا عطشنا نعصر الصخرا
ونأكل التراب اذا جعنا
ولا نرحل
وبالدم الزكي لا نبخل
هنا : لنا ماض
وحاضر
ومستقبل

اتمنى ان نفتح عيوننا لا نغمضها ونرتل كل هذه القصيدة التي كانت هذه المقاطع نصيبنا منها ، وليس هذا اختيارا عشوائيا ولكن القيم التي تحتويها كـــل قصيدة تحتاج الى وقفات طويلة متأملة ففيها الكثير الكثير من المعاني ، وكل هذه القصائد نخرج منها بكل جديد يمكن ان يعطينا منعطفا جديدا يمكن ان يسلكه الشعر العربي .. اننا لن نناقش الناحية الفنية (١) في هـــذه القصائد وان كانت هذه النواحي الفنية — في رأيي — ليس عليها غبار بالرغم من ان المؤلف حاول ان يدافع عن تخلف هذا الانتاج عن ركب القصيدة العربية خارج الارض المحتلة .. والسؤال الذي اوجهه هو : هـــل ادبنا في خارج الارض المحتلة مستواه اكبر بكثير من هذا الانتاج الذي بين ادينا ، انا شخصيا اشك في هذا ، واعتبر انه ليس هناك اي تخلف من جانب شعر المقاومة اذا وضعنا نصب اعيننا النماذج التي بين ايدينا . امـــا الشكل الذي حاول الاستاذ **غسان كنفاني** ان يدافع عنه فاعتقد ان قيمته تتضاءل اذا توافر عنصر الصدق وهو متوفر في هذه النماذج .. اذا فالقصائد التي بين يدينا ليس عليها غبار من الناحية الفنية ، اللهم الا اذا رددنا تلك العبارة المجوجة القائلة بان هذا الادب مباشرة ، وهذه المباشرة في وضع ادب المقاومة محبوبة ومرغوبة علاوة على هذا ففي هذا الادب من اللمسات الفنيـــة الدقيقة التي تجعلك تدرك الاصالة المتصلة التي تستمد عنصرها من حياة ابطال المقاومة .. فمثلا ما نلاحظه في قصيدة **توفيق زياد** « على جذع زيتونة » فهذه القصيدة استعمل الشاعر الزيتونة كعامل من اقوى العوامل التي

١ — لا احب ان اخوض في معنى الفنية اصطلاحا فليس هذا مجاله ولكن هذه العبارة جاءت تنبيها لما ذكره المؤلف ونكتفي في هذا الرد على معنى « الفنية » في حصرها في نطاق الشكل والعرض .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تقف بجانبه بل هي المحط والمكان الذي يحضر عليها كل آماله والامه ..

سأبقى قائما احفر
جميع فصول مأساتي
وكل مراحل النكبة
من الحبة
الى القبة
.. على زيتونة
في ساحة الدار !

ان المؤلف في تحليله الرائع في القسم الاول من الكتاب قد انتبه الى هذه النقطة ، فالزيتونة كما قال عن علاقتها باليهودي في ص ٧٦ « المهاجر اليهودي الذي تسلم حقل الزيتون لا علاقة له بالزيت ، لا يحبه ويبصق حين يتذوقه .. » فهناك اذا انفصال جذري بين اليهودي وبنت ارض فلسطين الزيتونة ، فبقدر الهوة التي بين اليهودي والزيتونة يكون التقارب ، فهذه الدلالة ابعاده تمتد وتمتد حين ندرك المقابل لها .. ومع هذا الاصرار الاصيل وهذه الدلالات التي تستمد طاقتها في الارض نجد الايمان بالديمومه ، فأدب المقاومة يعرف نهاية الطريق بغض النظر عن الزمان فهو كما يقول شاعرنا السابق الذكر مثل نيران المجوس دائمة ابدية بل هو يسير بثقة انظر اليه وهو يقول :

على مهلي
لان وظيفة التاريخ
ان يمشي كما نملي ..
طغاة الارض حضرنا نهايتهم
سنجزيهم بما ابقوا
نطيل حبالهم ، لا كي نطيل حياتهم
لكن لتكفيهم
لينشنقوا !

هذه القصائد كما ذكرت فيها ابعاد تلفت النظر ولن اقف طويلا عند كل مشاعر بل يكفيني ان اشير اشارة عابرة للاحظة او اخرى ومن اراد النبع فليرجع الى الكتاب .. ولنقف امام الشاعر **محمود درويش** فكيف نجد الارض وكيف نلحظ مصادر الالام لنرى هذه النفحات من قصيدته « عاشق من فلسطين » يقول :

رأيتك امس في الميناء
مسافرة بلا اهل ، بلا زاد
ركضت اليك كالايتام
اسأل حكمة الاجداد :
« لماذا تسجن البيارة الخضراء
في سجن الى منفى الى ميناء

وتبقى رغم رحلتها
رغم روائح الاملاح والاشواق
تبقى دائما خضراء » ؟
واكتب في مفكرتي :
« على الميناء ..
وقفت .. وكانت الدنيا عيون شتاء
وقشر البرتقال لنا ..
وخلفي كانت الصحراء ! »

ان هذه الروح وهذا اللقاء المتمركز في نقطة واحدة والمستمد في دلالة كلمة الحب .. حب الوطن وحب المراة يظهر هذا الاقتراب عن شاعرنا **محمود درويش** ولك ان ترجع الى ما كتبه المؤلف عن هذه النقطة عن شاعرنا في ص ٤١ ففي قوله غناء عن تكرير القول في المعنى ذاته ويكفينا هنا قوله في نفس الصفحة « ان الحبيبة في « عاشق من فلسطين » تضحى في القصيدة شفافه الى حد تضيع فيه معالمها بالارض ، يضحى جمالها هو ايضا ملخصا في كلمة ساحرة : فلسطينية .. وتبدو هذه الكلمة اكثر من كافية » ..

وملاحظة اخرى نأخذها من نفس شاعرنا **محمود درويش** حيث يلفت النظر استعماله للمناديل ، فهو يخرج بها الى دلالة اخرى تليق بالمرحلة انظر قصيدته « المناديل » انه يقول لها :

وتوقعي قبلا مدماة
ويوما ، دون زاد
وتعودي — ما دمت لي —
موتي
واحزان الحداد

ويمتد بها من حيث المعنى الى القيمة الآنية للمناديل :

لا تستعيري من مناديلي
اناشيد الوداد
ارجوك
لفيها ضمادا
حول جرح
في بلادي !

ويعود مرة ثانية وفي قصيدة ثانية ويقف مرة ثانية امام المناديل :

على الانقاض وردتنا
ووجهانا على الرمل
اذا مرت رياح الصيف
اشرعنا المناديلا
على مهل .. على مهل

فهنا المناديل وقاية تقف امام رياح الصيف وتحمي وتصون ولم تكن يوما للدموع مع ان القصيدة عن حب قديم !! واذا اردت دلالة فنية اخرى للمنديل عند شاعرنا فاقرأ هذا المقطع من قصيدته « عاشق في فلسطين » :

واقسم
من رموش العين سوف اخيط منديلا
وانقش فوقه شعرا لعينيك

واقرأ مقطعا اخر من نفس القصيدة :

فلسطينية العينين والوشم
فلسطينية الاسم
فلسطينية الاحلام والوهم
فلسطينية المنديل والقدمين والجسم
فلسطينية الكلمات والصمت ..

هذه ملاحظات حول كتاب « ادب المقاومة في فلسطين المحتلة » واذا اردت الدقة فهي ملاحظات حول النماذج التي حواها الكتاب وهي تمثل ثلث الكتاب اما باقي الكتاب والذي يتضمن دراسة قيمة عن ادب المقاومة وعن مقابل ادب المقاومة ففيها غناء كثير ، وقد تتاح الفرصة لنا مرة اخرى لنقف امام هذه الدراسة القيمة ..

واخيرا اجد نفسي مسوقا وانا اضع القلم ان اقول للمرة الثانية اننا كنا جد واهمين حين اعتقدنا ان اهل فلسطين المحتلة بحاجة لنا اكثر من حاجتنا لهم ولقد آن لنا ان نتخذ الخط الجديد .. حرب من الداخل والخارج بكل الوسائل وتحت كل الظروف وليكن في كل بلد ادب مقاومة لا ادب نكبة ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



يقول الجاحظ رحمه الله :

« من الف فقد استهدف » ..

والحق ، ان ليس من انسان يكثر اتصاله بالناس ، وصفوة الناس — بصورة خاصة — من الاديب ، لان عمله لا يخلقه لنفسه . ومهما قيل في العلل الفنية والنفسية التي تجعل الاديب يفكر ويشعر ، ويمثل في الواح مسطورة شعوره وتفكيره فانه لا يفعل ذلك لنفسه ، وان كان ارضى نفسه قبل ان يرضي احدا ، واطرب ذاته قبل ان يطرب له احد .

وقد يكون فيما يخلقه الاديب والفنان صبوة ونشوة خاصة تغيب فيها نفسه لكن هذه الصبوة لن تتم نشوتها ، وتنتصر الا اذا شارك فيها الناس ، وشاركوه .

ومن ذلك ما قيل : « ان العمل الفني — مهما اوغل في ذاتيته — ظاهرة اجتماعية ككل ظاهرة اجتماعية اخرى يتصل الفنان بواسطتها بالناس . والا فلماذا يكتب الاديب ولمن يكتب ؟ النفسه وحدها ؟ اليردد ما انشأه على مسامعه وحدها ؟ »

ولو ان الاديب يكتب لنفسه وحدها لرأينا جل هذه الاثار الادبية التي تتمتع بها الانسانية الان ، مما يتولاه المحو والنسان .

ولذلك يصبح الاديب ، بعد ان ينشر افكاره ، ويطرح مشاعره على الناس ، هدفا لاذواق الناس وارائهم فيه ، ولا شك ان فيهم من يفكر تفكيره ، ويشعر شعوره ، ويتجاوب معه ، لانه تلاقى معهم في نقطة مشتركة . ولا شك ايضا ان فيهم من لا يرى رأيه ، ولا يحركه شعوره ، وبذلك تثور نقمة هذا الجانب عليه ، وأية نقمة !!

هذا موقف طبيعي ، لا بد لكل اديب ان يحسب حسابه ، ويضعه نصب عينيه ، مهما اوتي من قوة الابداع والاختراع ، لان الاذواق لا يمكن ان يجمعها هوى واحد ، او يوحد بينها هدف واحد ، وليس معنى هذا ان هذه الاذواق كلها صحيحة بمقاييسها ، مصيبة بنظراتها . فان من الاذواق الذوق الصحيح المتجرد الذي يقيم الفكرة بتجرد ، دون ان يسيره الهوى . وان من الاذواق الذوق العريض الذي يحيل سقمه الماء الزلال ملحا اجاجا في فمه المريض ، او يستبد به الغرض المتحكم في اغوار نفسه او يعميه الحقد والحسد . وهذا النوع هو شر ما يبتلى به الادب ، والاديب ، وذو الموهبة ، لان اصحاب هذا الذوق لا يرضيهم شيء الا ان يكونوا هم المبدعون ، على انهم لا يملكون من وسائل الابداع شيئا .. فهم ينقمون على العطاء ، ولا سبيل لهم الى العطاء !

ولذلك ، فطن الاقدمون الى مصيبة هذه الاذواق في احكامها ، وعدم رضاها عن اي شيء ، فاعدوا كل اديب لخوض هذه المعركة ، واعتبروا ما يلقاه الاديب في طريقه منها « غبارا يثور ولكنه لا يمنع » ودعوه الى ان يسلي نفسه بهذه الحكمة :

« من الف فقد استهدف » وهم يريدون ان ما يلقاه الاديب من هذه الفئات شيء طبيعي وان عليه الا يخزى ولا يتخازل ، ولا يستسلم الى اليأس . والا فليحطم القلم اذا كان يؤذيه ما يقول الناس فيه كلما قالوا .

ويعجبني في هذا المعنى ما قاله احد ادباء الغرب :

« واذا رميت بمسرحية ما ، او قصة ما ، او ديوان شعر ما فانت تتلقى ، دفعة واحدة ، على وجهك ذلك الوحل الذي يلتصق فيه الزهر بالبصاق .

ورائعة هذه الصورة التي تعبر بوضوح عما يلقاه كل اديب ، حين يقذف بنتاجه الى الناس ، واما الجزاء على ذلك فازهار واكاليل غار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقدمها المعجبون به ، وبصاق ينثره الكارهون له ، يصل رشاشه مع الازهار :

ولعل اشد ما يلقاه الاديب من عداوة ضارية ، وتجهم كريه ما يبدره به اقرانه الادباء ، والنقاد الذين تلسع عقارب الغيرة نفوسهم ، فمنهم من يجعل همه الضرب والصفع .. حتى للحسنات ، ومنهم — وهم قليل ما — من يمهد للزهرة الجديدة ان تتفتح ، ويستأني لها حتى تفوح، ويصبر على الفرع اللدن حتى يشتد وللقناة اللينة حتى تصلب ، وهم بذلك ينأون عن ان يمثلوا دور المهدم البارع في مجالسهم ونوادرهم ، لان المعول الذي يقدر ان يهدم بناء شامخا لا يستطيع ان يضع لبنة واحدة في كوخ حقير !

وما اروع هذه الكلمة التي اتجه بها اليهم احد الاباء المنصفين !

— **« يا هؤلاء الزملاء ! ان الطريق واسع ، معبد لمن يريد المرور ، وبامكانكم ان تجدوا خيبا في طلب الشهرة ان كنتم مسرعين، عجلين . ولكن ، نرجوكم الا تسدوا الطريق على من وراءكم كما تسد السيارة المخلخلة الطريق على السيارات القادمة صلفا وكبرا . »**

واذكر في هذا المجال ، قصة اديب ناشىء بعث بنتاجه الاول الى كبير ادباء الروس في عصره — **تورغنيف** — فاطلع هذا على الاثر ، وتفرس فيه ملامح تنبىء عن عبقرية كامنة ، لا بد لها يوما ان تظهر !

فكتب اليه هذه الرسالة الرقيقة المشجعة :

« لقد جلبت انتباهي منذ ان ظهرت ، لاول مرة ، في الادب بموهبتك الاصيلة دون شك ، وكل كاتب شيخ ، محب لقضيته باخلاص ، يسره ان يكتشف خلفاء له ، وانت واحد منهم » .

لم يقف هذا الاديب الشيخ امام هذه الموهبة الجديدة موقف الغيور الاناني الذي يخشى ان تزاحمه وتنافسه على صولجانه ، ولم ينهض الى تحطيم هذه الجهود الفنية الموهوبة ، بل راح يرحب بها كزهرة يخلقها ربيع جديد ، لها لون خاص يميزها عن غيرها ، وكشذا مستقل يزيد روض الادب الوانا وعبقا . بل نراه يشير ببساطة ووضوح الى ان واجب شيوخ الادب ان يستقبلوا ، بحفاوة بالغة ، هذه المواكب الجديدة ، ويكشفوا بسرور عن هذه المواهب ، ويشجعوا بوادر النبوغ فيها ، ويجدوا في كل اديب ناشىء محدث خليفة لهم ، يحتل مكانهم ، بعد ان يزول كيانهم ، ويكمل رسالتهم التي لم يكملوها ، وهي رسالة الحياة التي لا نهاية لها !

والحق ان الاديب الذي يعرف نفسه ومقداره لا تخدعه اكاليل الغار ولا باقات الازهار التي يحاط بها اثره كما لا يثيره هذا البصاق الذي يسفه عمله ، لان اخر ما ينتظره من الناس هذه الاشياء ، جزاء وفاقا . وانما الاديب الحق ، حين يكون امينا لافكاره مطمئنا الى عمله ، راضيا عن رسالته لا يستهدف من وراء عمله الشهرة الزائفة ، لان الشهرة ما كانت يوما ، ولن تكون الا امجادا باطلة ، وفقاقيع كاذبة توقف نمو الاديب ، وتصيبه بداء الغرور ، وتضرب ، على نقطة انطلاقه ، السدود .

وبحق ما قيل **« ان الشهرة ضرب من ضروب الاذلال »** لان الاديب ، حين يجعل همه ووكده طلب الشهرة وحدها ، فانه مضطر ، انذاك ، الى ان يبحث عن عوامل الشهرة ، والى ان يتحايل على طلبها عند القراء والمريدين . ومنها ينتقل الى لون من الوان التزلف والتدجيل ، لكي يستثير المشاعر حوله ، وبذلك يذل نفسه ويوطنها على الخضوع لرغبات لا تمثل رغباته الصحيحة الاصيلة .

ومتى بدأ الاديب يحدد رسالته بمطالب الشهرة ، وشهوة الظهور فاعلم بانه قد فقد الصدق والامانة ، واصبح عبدا ذليلا للشهرة الخادعة ، ويكفي الاديب بلاء ، انه يعرض نفسه لالوف العيون والرقباء ، لان في هذا العرض وحده استسلاما وانحطاطا ، وكيف يكون شأن هذا الاستسلام اذا كانت تسيره الشهرة ؟

ان من حق الاديب الذي يكرم ذاته ، ويخلص لنفسه ان يعتقد دائما بان خلوص النية في النقد شيء مستحيل ، وما كان الناقد الا انسانا يخضع لنزواته في حالة الرضا او الغضب ، وفي حالة الاعجاب او النفور ، على ان الاهاجي والمدائح لا تستطيع بعد ذلك ان تثبت شيئا ، او تمحو شيئا اذا لم يعط هو شيئا .

وان اعجب فعجبي من ادباء كثيرين يحفلون كثيرا بهذه المدائح ، ويتقون كثيرا هذه الشتائم ، كأنما همهم من عملهم الادبي ان يحذروا هذه ، ويطمعوا في تلك . وهم لو ادركوا الحقيقة ، وما يثبت من الحقيقة لفهموا ان مجرد هذه التظاهرات ان هي الا رغوة ليس لها رصيد من صريح ، والا فقاقيع فارغة تطير هباء مع الريح . اما الذي يبقى الى الغد فهو الذي لا يستطيع ان يزيده المدح قدرا ، ولا يبخسه القدح قيمة .

وهذا ما نريده من الادب الخالد الذي ينشر ظلا لصاحبه بعد ان يواريه التراب ، دون ان يهتم بما استهدف اليه في الحياة ..

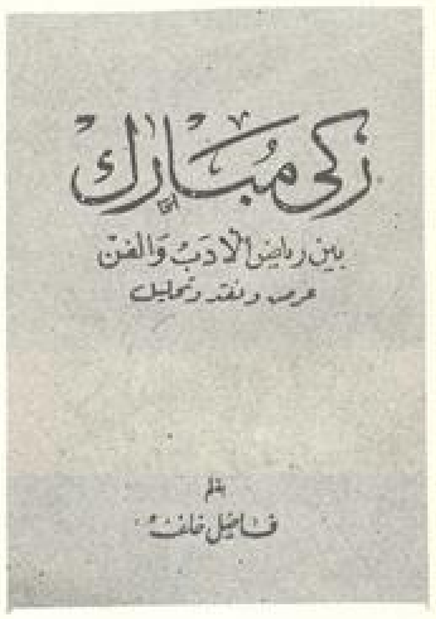
خليل الهنداوي



مَكتبة الرابطة

زكي مبارك بين رياض الأدب والفن

تأليف فاضل خلف



— حتى يناير ١٩٥٧ لم يصدر كتاب واحد عن المفكر العربي العملاق « زكي مبارك » ، الى ان جاء الاديب الكويتي فاضل خلف وسد هذا الفراغ في المكتبة العربية بكتابه « زكي مبارك بين رياض الادب والفن » وهو يقع في مائة وخمس وثمانين صفحة من القطع الكبير ، وفيه عرض ونقد وتحليل لشخصية زكي مبارك الفلاح في سنتريس تلك القرية المصرية الوادعة الى ان اصبح زكي مبارك الاديب الذي يتحدى اكبر ادباء عصره وينتقد اراء اساتذته في السوربون !

زكي مبارك الشاعر الانسان الاديب الثائر المفكر الناقد العاشق المدله المناضل .. وزكي مبارك صاحب اللسان الحاد والقلم السليط وحامل لقب الدكاترة الذي اطلقه على نفسه .. زكي مبارك مؤلف النثر الفني وعبقرية الشريف الرضي وناقد الغزالي .. وواضع مدامع العشاق وكاتب المقالات الساخرة في مجلة الرسالة وصحف العراق .. هذا كله في هذا الكتاب .

والى جانب هذا كله تظهر براعة المؤلف في تناول الشخصية وتحليلها ، على الرغم من قلة المصادر التي توفرت له ، والتي تحكي حياة زكي مبارك ، كما تبدو اللمحات الذكية في الفصول التي تحدث فيها الكتاب عن اسلوب ذلك المفكر العملاق وعن غرامياته ونواحي حياته الاخرى .

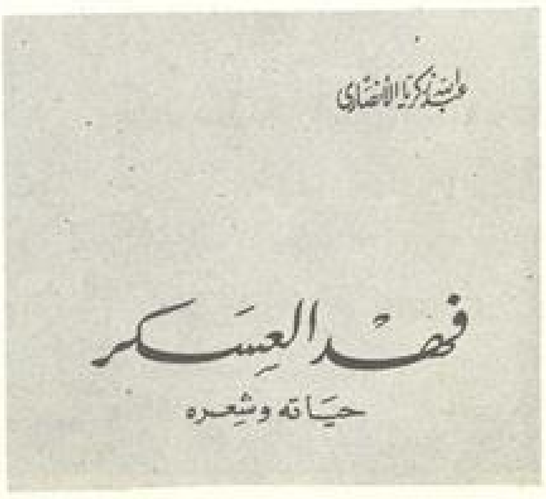
ان هذا الكتاب من اوائل الكتب القيمة التي صدرت في الكويت خلال السنوات العشر الاخيرة ، خرج به مؤلفه من النطاق الادبي في الكويت ساعيا بالوفاء لذكرى اديب عربي عظيم من ارض الكنانة حين عز الوفاء .

— لن تجد في المكتبات غير هذا المؤلف الوحيد عن شاعر الحب والثورة الاول في الكويت ، الذي تحل ذكرى وفاته في منتصف هذا الشهر

ولولا هذا الكتاب الذي انجدنا به الاستاذ عبدالله زكريا الانصاري عن المرحوم الشاعر **فهد العسكر** ،لضاع معظم نتاجه واختفت غالبية اثاره . وعبر مائة وثمانين صفحة من الحجم المتوسط يرحل بنا الكاتب مع فهد العسكر في حياته ومجلسه وشعره واحزانه ، مع دراسة موجزة لنفسية الشاعر ومدرسته الشعرية واثاره . والحق ان المؤلف لم يهمل اي اثر او خبر استطاع الحصول عليه عن الشاعر ، وقد اثبت في الكتاب سبعا وعشرين قصيدة تقع في ١١٤١ بيتا من الشعر . على ان اثار فهد العسكر التي لا زلنا نحتفظ بها حتى الان لم تقتصر على قصائد نظمها فقط ، بل ان لفهد ايضا تخميسا لبعض ابيات شاعر العرب الاكبر **ابي الطيب المتنبي** وتشطيرا لبعض ابيات قصيدة **احمد شوقي** — يا جارة الوادي — كما ان له شعرا اخر كثيرا في شتى فنون الشعر واغراضه ، ضاع منها ما ضاع ، ولعل السنة النار التهمت هذه العصارة الروحية الشعرية .. وفي السنوات الاخيرة تكشفت اثار جديدة للشاعر ، فمن الوفاء لذكراه ان يتقدم احد ادبائنا باصدار كتاب يضم دراسات عن فهد العسكر ونظرة جديدة الى الشاعر الذي حمل قضيته وكابد في سبيلها اهوال الحياة .

فهد العسكر حياته وشعره

تأليف عبدالله زكريا الانصاري



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وإني لكل الشائرين فم

جابر

دع الطوارق كالاتون تحتدم
وخلّها كحبيك النسج تلتئم
وخذ مكانك منها غير مكترث
دهدى بك الموج او علّت بك القمم
كفاك والخطب فخرا ان تصارعه
ان التصارع أنّى صار محترم
ومثل بلواك في غمى تدافعها
تكون عقباك أن تستكشف الغمم
تعسر الصبح واستعصت ولادته
حتى تشابكت الانوار والظلم
تبارك الخطب تبلوه وتحصده
ان الخطوب اذا ما استثمرت نعم
عود الرجال بكف الخطب يعجمه
كالمندل الرطب يذكو حين يضطرم
خض الكوارث لا نكسا ولا جزعا
واترك الى الغيب ما يجري به القلم
لو كان يضمن نصر قبل موعده
لكان ارخص ما في الانفس الهمم
اني وجدت الليالي في تصرفها
تأوى الى حاكم عدل وتجتكم
تدس في الشر خيرا يستضاء به
وتنزع الخير من شر ويلتئم
ان الشدائد تستصفي النفوس بها
مثل الحظوظ على اصحابها قسم
يلقين ظلا على وجه فيلتطم
ويزدحمن على وجه ويبتسم
يا جمرة الخطب ساقينا على ظمأ
للمصليات فانت البارد الشبم

قالوا انت ازمة جلى فقلت لهم
اهلا وسهلا فنعم الطارق الازم
يا جارتا : من يضق ذرعا بنازلة
فليس منا وان متت به رحم
سلي بنا الازمات السود كم غنيت
اذ كان عند سوانا الفقر والعدم
ما شئت فامتحني نزدد ندى وقرى
هل كان الا ليوم المحنة الكرم
يا جارتا : انت سر في ضمائرنا
وانت بين العروق الثائرات دم
عشنا واياك احقابا مناوبة
ننسل منك على رفق وننسجم
حلى بنا تجدي من ازمة قدما
عفى على رسمها من ازمة قدم

★★★

ويا « أبا خالد » ان يلتهب بفمي
قول . فانى لكل الثائرين فم
يا « ناصر » الامة الكبرى وحاضنها
لا العجب يملأ برديه ، ولا البرم
ويا شريكا بما يزهى الشريك به
يلم نعمي على بؤسي ويقتسم
ويا فتاها ، ويا حامي فتوتها
لا نال منك ولا من مجدها الهرم
ناشدتك العروة الوثقى بما انتفضت
به الشعوب ، وما صينت بم الامم
انقذ فلسطين مردودا بها حرم
على ذويه ، ومركوزا بها علم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



واخيراً ، نطق بعد صمت مؤسف طويل ، محمد مهدي الجواهري بقية شعراء العرب الكبار ، فألقى قبيل العدوان الاسرائيلي الاميركي الغادر في براغ ، قصيدة رائعة ، في مهرجان دعت اليه روابط الطلبة العرب استنكارا للتحشدات الاسرائيلية ، وفيما يلي ننشر قصيدة الجواهري :

ولب في جنبات القدس صارخه
من قبل ادركها في ((الروم)) معتصم
وطهر البيت من رجس يلوثه
ولن يطهره الا دم ، ودم
ولن يطهره الا مخايرة
ان يعبد الله ، او ان يعبد الصنم
رب لصهيون عجل صيغ من ذهب
ورب ((موسى)) كالواح له رمم

★★★

يا منتج الضربات البكر ينزلها
على دهاقنة عن مثلها عقموا
اكل يوم جديد انت مبدعه
حتى كأن ليس في قاموسك القدم
جمعت تسعين مليونا كما جمعت
لبد الليوث على اشبالها اجم
وصغت من انهر شتى واخلجة
بحرا بمصطخب الامواج يلتطم
وصنت بالقوة الحق الذي دلفت
تسعون عاما عليه وهو يهتضم
وذاك ان الحديد الضخم قارعة
في مسمع الدهر عما غيره صمم
ادر حبالة رأي انت قاتلها
على الحظيرة تجمع امرها غنم
وذوب الشحم من كبش الفداء لها
ومدعي النطح عنها يظهر الورم
يريد صد الحتوف الجائعات بهم
وان يكن ثم من حتف له فهم
وحش تنمر اذ طالت اظافره
واليوم يشخص مشحوذا لها الجلم
محمق ، وبأوج الفطنة الامم
وشائخ ، وشباب حوله نظم
اجهز عليه يعنك الشرق ينتقم
والغرب يرزح ، والاهواء ، ترتطم
واستثمر اللعنات العاصفات به
فانهن جيوش ليس تنهزم
هناك في المشرق الاقصى له عنق
تكاد بالقبضات الصفر تخترم
وفي يد المشرق الادنى له ذنب
يلوى ، وفي غده المحتوم يصطلم
وبين هذين اوساط مرجفة
كما ترجف خوف الغارة اللجم

★★★

ذئب الحضارة ماذا انت محتقب
في يوم تمتحص الاوزار والتهم
اكل عار يعاف الكلب جيفته
تلفي به ما يلذ الجائع النهم
اقوى من الموت في (صاروخك) الرجم
للصارخين ، ومن اسطولك الحمم
((تيمور)) قبلك في ((بغداد)) كان له
من الجماجم في اسوارها هرم
هيك التبيع له فيما اصطلى وجنى
فهل سوى ان يوازي رجسك العدم ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانى لكل الثائرين فم

حلفا « جمال » بقول رحت فاعلـه
وقـــد يبر بفعـــل المقسم القسم
لو شئت صفت شواظ النـــار قافية
تاتي على كـــل مـــا تلقي وتلتهم
لكن وجدتـــك كالفولاذ ضرمـــه
طبع ، فـــلا يتمشى فوقـــه ضرم
فسرت نهجـــك تطفي عندي الكلم
فادريهـــا فيثني سيلهـــا العرم
نهنهتها عن دم تسقـــاه فاكتظمت
كالطفل عن صدر ام حـــين يفتطم

★★★

ويا « دمشق » سلام كلما سجعت
في « الغوطتين » هتوف شفهـــا نغم
منى على الربوات الخضر باكرهـــا
سقط الندى فحواشي نبتهـــا عمم
على السفوح ، على الوديان ناعسة
مشى بهـــا من طيوف جمـــة حلم
على المصابيح من « غسان » اخلصها
الى العروبة ما نقت لهـــا الشيم
اوفى النفوس مروءات فان جرحوا
ففي الانوف عـــلى ذي عزة شمم
يا جبهـــة المجد يا قلبا ، ويا رئـــة
في صدر كل عريب ما بـــه سمم
لا تبرحن خيول الله زاحفـــة
عـــلى عدوك تغشـــاه وينهزم
ولا تـــزل اريحيـــات منشرة
يهب منهـــا بيوم عـــابس نسم
ولا عدتـــك اليدان الثرتان نـــدى
ومنعـــة ، نهجك الوضـــاح والديم
لا بـــد يومك آت يوم تردفـــه
في عـــالم غير هـــذا العالم القيم
في يـــوم مـــاثم موتور فينتقم
في يوم تنـــدثر الاحقـــاد والنقم
في يوم توزن اقـــدار لقيمتهـــا
لا الصلب يلغى ، ولا السفساف يغتنم
لا بد يومك آت عن غـــد خضل
وان موعـــد يوم من غـــد امم

★★★

وانت يا بن « زعين » ايهـــا العلم
يا من تحضنك « النيـــلان » والهرم
اني لاطريك عن علم ، وعن ثقـــة
ولست ممن تمـــارى عنـــده الكلم
سر في نضالك لا زلت بـــك القدم
ولـــن تزل وبالايمـــان تعتصم
صن « الثغور » فما انفكت اسفتهـــا
من قبـــل الف بقلب الشام فلتدم
وذد عن الحق ان الحق منطقـــه
حمى يفيء اليـــه العرب والعجم
بئس الدم المر حكمـــا غير ان دمـــا
يسعى اليـــك هو المحكوم والحكم
مشوا ببـــاطلهم يبغون مصرعهم
فان سلمت على حق فـــلا سلموا
لك « النسور » فاطلقها على شرف
وخـــل تنحدر العقبـــان والرخم
وقـــل مقالة صدق غـــير مصطنع
وطالمـــا صانع الجهـــال من علموا
في « يثرب » حرم الله وكعبتـــه
وفي « دمشق » لشرق زاحف حـــرم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في الشعر الكويتي الحديث :

تمهيـــــد :

يمر الادب العربي في الكويت بمراحل خطيرة ، لا يشك في انها ستحدث تطورا ملموسا في تاريخ الادب العربي بصورة عامة . وذلك باقحام العاملين في طريقه مسالك المثل والمعتقدات ، التي وجد الادب ليدافع عنها، ويجسدها بصورة تجعلها ابرز وأدق ما يمكن ، كيما يجد طريقا أقصر لمعالجتها . وهذا ما لمسناه أخيرا عن طريق كتاب وشعراء كويتيين ــ وان كانوا قلائل ــ نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر رأس الشعراء الكويتيين **المجددين المرحوم فهد العسكر** ، صاحب اكبر مدرسة **تحررية في سواحل خليجنا التائق للمجد . فقد دافع العسكر عن المرأة ، ومساواتها بالرجل ، وحارب التقاليد العمياء في شتى المجالات . وكان بكل ذلك مجاهرا وأبيا ، ولم يعبأ بما يصيبه ، حتى بعد استغلال الحاقدين لظروف عماه . والى جانب العسكر وجدنا شعراء وكتابا ، نحى قسم منهم منحى فهد العسكر** ، وتعمق آخر في رؤيا **أخرى . ولا شك في أن حركة الشعر الحر التي لاقت تقبلا شديدا عند شعراء الكويت الشباب ، دليل واضح على النضج الفكري والحضاري . ومن جملة العاملين في النهضة الادبية في الكويت حاليا الاستاذ علي السبتي والاستاذ محمد الفايز والاستاذ احمد العدواني والاستاذ عبدالله زكريا الانصاري وخالد سعود الزيد وخليفة الوقيان وعبدالله العتيبي في مجال الشعر ، ناهيك عن جهود الاستاذ احمد السقاف الذي اخذ على عاتقه تمثيل الكويت في المؤتمرات الادبية . اما في مجال القصة ففي الكويت شباب لهم القابلية الممتازة في تطوير القصة في الخليج العربي ، منهم الاستاذ سليمان الشطي والاستاذ اسماعيل فهد اسماعيل والاستاذ فرحان راشد فرحان . اما المسرح الكويتي فقد لقي تطورا ملموسا على يد رائده الاستاذ صقر الرشود . ويعتبر الشاعر احمد العدواني أو لمن كتب المسرحية الشعرية في الكويت ، بعنوان « مهزلة في مهزلة » (١) .**

لـ بيد ان ثمة حدثا عظيما في تاريخ الادب العربي في الكويت ، بزغ في سمـــاء الادب في الخليج العربي بأسره (٢) ، فأعاد نظر العالم الادبي في ادب تلـــك المقاطعة . الا وهو ذلك العمل الخطير الذي اطل به على عالم الادب العربي المعاصر شاعر الكويت الشاب **محمد الفايز** في **مذكرات بحار** . تلك المذكرات التي قيل فيهـــا بانها اطرف واحسن مـــا كتب في السنوات العشرة الاخيرة (٣) ، والتي قيل في شاعرها انه من الشعراء الطلائعيين القلائل (٤) ، وانه شاعر ستكون لـــه خطوته (٥) ، وانه شاعر اصيل استطاع ان يحطم القشرة الذهبية التي تحيط بالانسان العربي في الكويت(٦) اضافة الى وجوب تعريف القارىء العربي به ، الذي نادى به الشاعر الكبير **صلاح عبد الصبر** (٧) . فهـــذه الاعترافات النادرة **بمذكرات بحار** ، وبشاعرها ، لتعكس لنا المكانة العظيمة التي تحتلها الثورة الادبية الجديدة في الكويت ، كما تشف عن مستقبلها .

★★★

لو آمنا بان الاصالة من اهم مقومات العمل الادبي، لكبرنا في **مذكرات بحار** اصالتها المستوحـــاة من صميم الواقع المعاش ، ومن ظروف البيئة المحلية . الى جانب المسحة الفولكلورية الاصيلة التي طغت على جو هذه الاناشيد . **فمحمد الفايز** يفلسف الحياة ، ونظرته لهـــا بصورة خاصة ، عبر معطيات عالمه .. ذلك العالم الذي يتمتع بشخصية وكرامة وجذور خاصة به . أفأعذب من أن تلون لنا ريشته الفولكلورية هذه الصورة التعبيرية ؟ :

« صوت الدفوف يرن في أذني ، فتشربه الضلوع
من الحنين

سيكولوجية الانتماء

في مُذكَرات بحَّار

بقلم : شاكر العاشور

قبل الرسو الى الضفاف المشرقات
بنسائنا ودفوفهن ، نسائنا المتطلعات
للبحر ، حيث شراعنا كحمامة بيضاء أغياها المطاف . »

أم هل هناك أعظم من ان نستفيق على أغانينا التي بدأ التطور الواهي يمد اسنانه الصدئة لها ؟ عبر هـذه الصورة التي يذكرنا بها محمد الفايز بهدايا العرس التي قدمها أباؤنا لامهاتنا . يقول :

« وتدفقي ، وأنا أصلي فوق ثوبك ، والنساء الاخريات
خلف الجدار
وحديثهن عن السوار
والحق ، والصندوق ، والماء المعطر ، والمراثي . »

هذه الاصالة الفولكلورية ، والرؤيا العميقة التي امتاز بها محمد الفايز ، كانتا مدعاة اعجـابي الكبير بمذكرات بحار ، ومن ثم دافعي للكتابة عنها . أما مجال البحث فسأقصره على الدافع الاساسي في فلسفة فكرة المذكرات عن الانسان القلق ، المتمثل فيها بشخصيـة البحار ، والذي تقف في سبيل سعادته عوامل شريرة لها جذور يعترف بها شاعر المذكرات ، اذ يقول :

« وكاللسان
ابدا يحدث عن حقارة عالم
من عهد (قابيل) تهاوى للحضيض . »

وباستعراضنا للتسلسل الزمني لهذه المذكرات ، سنحاول تبيان الدوافع السيكولوجية في وجود الانسان عبر فلسفة الفايز .

لما يزل بحارنا هذا صغيرا عندما تأصلت في نفسه **كراهية الجدب** ، الذي لا تجود بغيره رمال بلاده الصادية تحت لفح الهجير . وذلك عندما غرقت السفينة التي كانت تقل اليهم الماء من البصرة . وعز على بحارنـا الصغير هذا الجفاف الذي حجر حتى قرب الجمـال السوداء،فلا تجود بقطرة ماء لارواء الصغار الذين ظمئوا:

« يتساقطون كما الزنابق حين تعصفها الرياح . »

فيتألم كثيرا .. لماذا يعيش :

« فوق أرض لا تجود
الا برمضاء الرمال ، وبالدماء
والموت والجدري . » ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فيذهب لوالده الضرير ، عله يجيبه ، ويفهمه .. لماذا لا تعطينا أرضنا ؟ فيجيبه والده :

« الارض تمنح عندما تجد الرجال . »

هنا .. يقف بحارنا امام مشكلة عظيمة ! فهو مؤمن برجولته وقوته :

« نحن الرجال
نحن العطاء اذا تعذرت الحياة عن العطاء . »

لكن .. كيف يكافح ؟ واين يكافح ؟ او ليست هي هذه أرضه التي لا تجود الا برمضاء الرمال ، مهما عمل لها ؟

وازاء هذا القلق الشديد ، والكراهية المتعاظمة ، يراف به والده الضرير ويدفعه الى (الكتاب) عله يفيد منه قسطا من العلم ، يؤهله لاقحام ميادين الحياة ، بصورة تسهل عليه الحصول على سعادته .

بيد ان المصيبة اضحت اعظم من سابقتها . فالطرق التربوية التي يسلكها (المطوع) في تعليم الصبيان ، لا تستند على مفاهيم سليمة في فتح باب الاستيعاب المنشود من القراءة :

« وفؤادي الحرن الصغير
صندوق الام تحطم من زمان
لن تدخل الكلمات فيه عن لسان
رجل عجوز
وعصاة فوق رؤوسنا . »

فعصا (المطوع) ، وفلقته تولدان في نفسه اضلجر الذي يحثه على كراهية مواصلة تعليمه ، وان صرخ في وجهه أبوه وجافاه . ويوضح لنا عدم جدوى تعلمه في هذه الصورة التي تمثل رده على والده :

« وأنا اصلي ... بيد أني لست أفهم ما اقول
وما حفظت من الكتاب . »

تحت كل هذه العوامل المضجرة ... الجفاف الارضي ، وعصا المطوع التي تهتز فوق رأسه المتدلي على الكتاب وكأنه دلو فارغ ، يتضاعف العناء النفسي عند هذا الصبي فيبعث في نفسه الحقد على الحياة في الارض ، ذلك الحقد الذي يترابط عند هذا الصبي بمستويات أعلى .. حيث يقول من خلال حقده على المطوع :

« نحن الصغار .
الهاربين من اللحى السوداء ، أشبه بالكبار
الحاقدين على الحياة وليلها . »

فهنا تظهر فكرة اللا انتماء عند هذا الصبي ، حيث ادرك ان الاساس الذي تقوم عليه الحياة في ارضه لهو واه (٨) . فوجوده بين أقرانه لهو ذلك الفراغ الذي يتسرب منه العدم والخواء الى وجوده كانسان .. اصبح لا يطيقهم ، ولا يطيق عيشهم ، ان حياتهم ليست حياته ، كل شيء هنا في الارض عدم . فمشكلة التفكير اصبحت اعمق واكثر مما يجب ، حتى اضحى لا انتماؤه لهم وللارض معضلة اشد ، فقرر الا يبقى في ارضهم (٩) . ففكر في تجربة البحر .. البحر الذي قد يجد بامواهه ، ولآلئه ما يسعده ، ويرضي نفسيته .

ويبحر صبينا مع بحارة من بلاده ، وكان مشغوفا بصورة عرمة جدا ، كيف لا وفي ذلك خلاصه من الجفاف وعصا المطوع ؟ فهو يقول قبل ان يلاقي ما لاقى في البحر:

« اواه يا ارض الحرائق والسموم
البحر أحنى من ضفافك ، والشراع
أذرى الي من الصنوبر . يا بحار
الملح فيك الذ من عنب الدوالي في المدينة
فخذي شراعي يا رياح ، خذي السفينة . »

فيمضي أياما وليالي في الغوص على اللآلى والمحار .. متنقلا بين الموانىء العديدة ، يسامر النجم ليلة ، ويقارع الريح والاصطخاب العبابي اخرى . حتى يحالفه الحظ ، ويعثر على لؤلؤة ثمينة أثناء صيده .. فيصرخ — كما هي العادة — (عندي) ، ويفرح فرحا لا يقابل ، اذ تغزو مخلتيه بوارق الامل ، ولكن سرعان ما يتحول الفرح الى حزن لا يقابل . وذلك عندما أخذها منه رئيس السفينة ، وحفظها في خرقة حمراء ، منتظرا قدوم سفينة (الطواش) الذي هو التاجر الذي يشتري لآلىء البحارة فيحس بحارنا المسكين بالغبن ، وذلك عندما يدرك أن كل ما يحصل عليه الصياد من اللآلي لا يكون له ، ولكنه يجمع عند رئيس السفينة ، ريثما يأتي (طواويش) البحار فيشترون الصيد ، وبعد ذلك توزع الارباح بالنسب على البحارة ، وعلى اناس غير ملتاعين بمرارة البحار . فيفيض بحارنا لوعة ، وينطلق باعظم نشيد عرفه الخليج العربي ، عندما يقول معبرا عن استياء اخوته البحارة :

« ليت النساء
اللابسات لآلىء البحار قد ذقن العذاب
ومرارة الدنيا كزوجته الحزينة ..
.. في بيتها الطيني حالمة وحيدة ..
سيعود ثانية بلؤلؤة فريدة
يا جارتي سيعود بحاري المغامر
سيعود من دنيا المخاطر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولسوف تفرقني هداياه الكثيرة
العطر ، والاحجار ، والماء المعطر ، والبخور
ولقاؤه لما يعود ، كأنه بدر البدور . »

ولو رجعنا الى نفسية الشاعر ، بعد الاحداث الاخيرة ، لراينا ان ثمة عوامل جديدة قد بدات تأثر فيها ، ومن ثم في سلوكه كانسان يرى اكثر مما يجب . فقد رأيناه سابقا يحقد على الارض واهلها ، ولكنه هنا يتراجع قليلا بفكرته .. فيحنو على سكان الارض ، عندما يوضح لنا تفكيره بزوجة البحار الحالمة في الارض بعودة زوجها وهداياه . بيد ان تفكيره هنا بزوجة البحار المسكينة لا يدفعنا للقول بالتراجع عن لا انتمائه ، بل العكس هو الصحيح ، اذ ان الشر الذي تلمسه في البحر من قائد السفينة ، ومساومة (الطواويش) ، ضاعف في نفسيته فكرة لا انتمائه . ان لا انتمائه هنا لم يقتصر على الارض ، بل تعداها الى البحر ، وكل شيء ايضا :

«وشعرت بالحقد اللذيذ على الحياة . . على الجميع (١٠) »

ويستمر بحارنا في ترحاله وعودته الى أهله لا منتميا ، وانما عمله هذا للحصول على قوته فقط ، لا لاي غرض اخر . حتى تشاء الظروف في احدى رحلاته ، وتغرق السفينة التي لم ينج منها الا هو واربعة من رفاقه . وعند وصولهم الى الشاطىء ، يتوجس بحارنا شرا من رفاقه الذين صمموا على أكله .. لاشتداد جوعهم . لكن فراره ، واختباءه في احد الكهوف حال دون ذلك .

ضاقت الدنيا بعينيه ، مل البحر الذي تفنى له .. لم يعد اي شيء لم يجربه . فقرر العودة الى الضفاف ، ولزوم بيته — كاللامنتمي الرومانسي — وان لاقى الجفاف .

وهنا أحب ان اقف قليلا لابين لقارئي العزيز نقطة دقيقة في بحثي هذا . وهي رجائي له بان لا يفكر في اني افسر فلسفة محمد الفايز باللا انتماء المطلق ، انما تفسيري لها هو أن هناك عوامل تؤثر في نفسيته تأثيرا يدفعه في أغلب الاحيان الى اللا انتماء الذي يعبر به عن استياء انسانه من الظروف العصيبة المحيطة . ولكن ايمان هذا الانسان ، وفشل محاولات انقطاعه عن العالم يدفعه في احيان اخرى الى الانتماء ، ومعايشة غيره ، والارتباط معه (١١) .

وما بينته اعلاه ، يوضحه لنا محمد الفايز بعاطفة حبه لامه ، والاخذ بكلامها وحكمتها :

« في البحر رزق الناس يا ولدي ، وأيام الجفاف
في الارض ما برحت . ومن يلق الشباك
ياكل . »

والى جانب هذه العاطفة التي ربطته مرة اخرى بامه ، فثمة علاقة عاطفية جديدة في حياته دفعته الى الانتماء ، بحبه لجارته (طيبة) ، وانشغاله بها . فطار الخيال بعقله ، واحب العودة الى البحر مرة اخرى ، آملا في الحصول على ما يعلي شأنه بعيون (طيبة) . فيعود ايمانه بالبحر ، يحدوه في ذلك حبه (لطيبة) ، وانصياعه لحكمة امه :

« يا ملح البحار
ستكون شهدا عن قريب . والنهار
سيطل مثل عيونها . »

فيستمر بحارنا متجولا في بحاره ، مرحا باماله ، يصطاد الكثير ويربح القليل . وبين فترة واخرى يحن لاهله ، فيعود اليهم بعد انتهاء موسم الصيد ، محملا بهداياه الرخيصة التي ابتاعها من اسواق (بومباي) و(مسقط) . وقبل الرسو ترن في اذنه اصوات دفوف النسوة المستقبلات لعودتهم ، وبينهن (طيبة) .. التي يراها بشوق :

« وكما أميز وردة بين الورود
أو نجمة بين النجوم ، لمحتها بين النساء
وأكاد أنشق عطرها قبل اللقاء . »

الى هذا الحد العظيم احب (طيبة) ، واحبته ، وسهرت لبعده :

« تطالعني من شقوق الجدار
وتشكو الي عذاب السهر » .

ولم يلبث هذا الهيام حتى تحول الى علاقة اعظم ، وانتماء اشد ، وذلك بزواج بحارنا من (طيبة) . هذا الزواج الذي كان من الدوافع الكبرى التي حملت بحارنا على العمل في البحر سعيا وراء الرزق .

وخلال سفره وعودته الى (طيبة) وحبها ، تصيبه الفاجعة الكبرى ، التي أفقدته ايمانه العظيم بالانتماء .. الا وهي موت (طيبة) بمرض الجدري . طيبة التي كانت له العالم باسره ، ينتمي للعالم بانتمائه لها ، فيكاد يفقد عقله اثر هذه الصدمة العظمى ، حيث بروح يطوف مناديا دون وعي ، وبتداع وتساقط يكاد يضاهي تساقط (فوكنر) لو كان في واقعيته :

« من يشتري كل البحار ؟
من يشتري كل المحار ؟
بعيون (طيبة) . »

لقد كره العالم كله بعدها ، وحقد على الارض اكثر من ذي قبل ، وقرر — داخل نفسه — الا ينتمي ! ولمن ينتمي ؟ :

« غنيت امس لمن احب ، وهمت في ليل البحار
لاعود ثانية ، ومعي هدايا للصغار
واليوم حاربت الظهيرة والنهار
شمس بلا اقمار عينيها ظلام
أطفي الشموع
فعيون (طيبة) كل ما حوت الشموع
والكل وهم ، والحياة الى فناء . »

تمعن يا قارئي العزيز جيدا ، ترى كلمة (الظهيرة) وكلمة (الشموع) ، فهما يدللان على النهار والليل اللذين حاربهما ، فحارب اذن بهما الحياة بكل اشيائها وابعادها ناهيك عن قوله . (الكل وهم) .

فيهيم دون هدف في بحاره ، لا تردعه اهوالها ، و لاقسوة ظروفها ، ولا تعنت تجارها ، تلك الظروف التي اجبرت اكثر البحارة على الانتحار ، بالقاء انفسهم في البحر ، كما ورد في المذكرة الثالثة عشرة . ويستمر في ذلك حتى تبلغه الشيخوخة التي تعجزه عن العمل ، فيعود الى المدينة ، ليتكىء مساء كل يوم ، يجتر ذكرى امسه . على حوائط المسجد ، ويسبح ربه :

« ونروح نجتر الخيال ونستعيد
ذكرى الحجار الهابطات مع الرجال الى القرار
حيث الصخور المورقات ، وحيث أكوام المحار . »

تلك هي نهاية الانسان ، التي فلسفها محمد الفايز .. ذلك الانسان الذي تتحكم في نفسيته عوامل مختلفة ، تجره للانتماء مرة ، وتقذفه الى اللا انتماء اخرى . وتلك هي مشكلة انساننا في هذا القرن .

النتـــائج :

خلال استعراضنا للتسلسل الزمني لمذكرات بحار وللعوامل التي رسمها لها شاعر المذكرات ، استطعنا ان نخرج بالنتائج التالية .. التي قد تساعدنا في القاء نظرة على مكانة هذا العمل الادبي ، وهذه النتائج لا تتعدى راينا في هذه المذكرات :

١ — نستوضح من الطريقة التي عرض لنا بها الفايز مذكراته ، وهي التطاحن بين اللا انتماء والانتماء ان ثمة عوامل تتحكم في ذلك .. عوامل نستطيع بها ان نحدد شخصية اللا منتمي العربي على الصعيد العام . حيث انه اضافة الى العوامل التي استعرضناها في عرض المذكرات ، توجد عوامل دينية واخلاقية تحد من لا انتماء الفرد العربي . فالفرد العربي مؤمن بتعاليم دينه ، مطبق لها ، من ذلك قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) . وكذلك فالانسان العربي ملتزم اخلاقيا وشهامة ، حيث اننا لا نتمكن من تصوره وهو يمد يديه ليستجدي ما يعيش به ، كما أرانا ذلك (كولن ويلسون) في روايته (ضياع في سوهو) عندما صور لنا شخصيات تعيش عالة على غيرها . بل العكس هو ما يتمثل به اللامنتمي العربي عند محمد الفايز ، حيث عرض لنا صراع العربي من أجل عمله في طرق شريفة في حالة لا انتمائه . كما أن ثمة عاملا عاطفيا اخر يتحكم في نفسية اللامنتمي العربي ، حيث أن الانسان العربي عاطفي بصورة شديدة . وهذا ما لمسناه في انصياع بحارنا لحكمة امه ، وانهيار لا انتمائه امام حب (طيبة) .

٢ — ثمة تناقض في عرض الفايز لفكرة المذكرات ، وباعتقادي أن نفسية الشاعر الخاصة لها اثر فعال في هذا العرض المتناقض . فتراه حينا يستعمل رمز (المطر) للدلالة على الخير والعطاء ومرة أخرى للدلالة على النقمة والشر . كما فعل ذلك في شخصية البحار ، حيث يعرضه مرة بصورة الانسان الغني ، الذي تمتلىء يداه بلآلىء البحر ، ومرة ذلك الانسان الشقي المعذب .

٣ — نجح محمد الفايز في التقاط الصور الفولكلورية الحية من مجتمعه ، مما زاد من عذوبة واصالة ونكهة المذكرات .

٤ — كما أؤيد ما ذهب اليه الاستاذ الناقد العراقي عبد الجبار البصري في مقاله المنوه عنه في الهامش ، بان الفايز استطاع ان يأتي بصور مبتكرة وجميلة جدا . من ذلك وصفه لمفرق شعر (طيبة) :

« أين انطلاقات الظفيرة
ووميض مفرقها كخط من نجوم
في ليل أيامي الحزينة ، أين أفراح اللقاء » .

٥ — وفق الفايز في اعتماده على الوحدة العضوية في القصيدة ، وفي الهيكل الهرمي الذي عرض فيه افكار أناشيده العشرين . حيث يتعذر علينا الاستغناء عن بيت واحد من ابيات القصيدة الواحدة ، دون ان يهتز المعنى . وخير مثال على ذلك المذكرة الثالثة عشرة والمذكرة الحادية عشرة ، ومذكرة (في بيت سيدنا تعلمنا الكتاب .)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

★★★

وختاما فمذكرات بحار عمل ادبي خطير لم يشهد الادب العربي الحديث منذ فترة لا بأس بامدها مثيله . اما شاعرها فمن الشعراء القلائل الذين يحق للادب العربي الحديث أن يفتخر بهم .

الهامش :

(١) أدباء الكويت في قرنين ــ خالد سعود الزيد ، الكويت ١٩٦٧ .

(٢) فتأثرا بمذكرات بحار ، كتب شعراء شباب من البحرين ، قصائد تنهج نفس نهج مذكرات الفايز . أمثال علي خليفة في قصيدة (أنين الصواري) ، والدكتور غازي التصيبي في قصيدته (أوال) . ــ راجع مجلة (هنا البحرين) .

(٣) ، (٤) ، (٥) اراء فاروق شوشة وبدر شاكر السياب ومحمود سليم الحوت المثبتة في نهاية ديوان الفايز (النور من الداخل) .

(٦) رأي الاستاذ عبد الجبار داود البصري في مقاله عن مذكرات بحار ــ راجع ملحق صحيفة الجمهورية التي تصدر في العراق ، الملحق الادبي رقم ٦٨ .

(٧) ورد هذا القول في مقال الشاعر صلاح عبد الصبور عن الشعر العربي المعاصر ــ صحيفة صوت الخليج الكويتية ، العدد (٢٠٣) حزيران ١٩٦٦ ، نقلا عن صحيفة الاهرام القاهرية .

(٨) اللامنتمي ــ كولن ولسون ــ ترجمة أنيس زكي حسن ــ الطبعة الاولى ، ص ٩ ، مقدمة الناشر في تعريف اللامنتمي .

(٩) تتشابه نفسية البحار هنا مع نفسية (هاري) بطل قصة (ضياع في سوهو) لكولن ولسون ، عندما أحس بلا جدوى حياة رفاقه .
ــ ضياع في سوهو ــ ترجمة يوسف شرورو وعمر يمق .

(١٠) ان فلسفة هذا البيت هي نفسها فلسفة (دانفرز ريد) الانسان اللامنتمي في قصة كولن ولسون (ضياع في سوهو) ، الذي أحس بتجوف الانسانية ، فاضحى يقول : (أنا من الذين يؤمنون بالقضاء على الانسانية ومسرحها .)

(١١) يتفق الباحثون في مشكلة اللامنتمي العربي ، على أن ثمة عوامل تحد ما يريده الانسان العربي في لا انتمائه . ومن هذه العوامل ، عوامل دينية وأخلاقية رعاطفية . وفي ذلك يقول الناقد العراقي عماد عمران فياض أن اللا انتماء العربي يستحيل عليه ان يكون مطلقا .

ــ انتهى ــ

● احتمال التبعة والقدرة على المعاونة هما اعلى ما ترتفع اليه اخلاق الشعوب : خليقتان احداهما لازمة للنهوض بعملك والاخرى لازمة لانهاض عمل الاخرين ، وبالخليقتين معا تتم فضيلة العمل التي هي خير ما في الحياة القومية . وليس للشعوب المتداعية من هذه الفضيلة نصيب .

العقاد

● خوف الموت كلمة مرادفة لخوف الحياة ، وكلاهما شيمة الضعفاء لان الاقوياء لا يخافون الموت ولا يخافون الحياة . ولكنهم يكرهون الموت كما يكرهون عدوا ويحبون الحياة كما يحبون عشيقة ، وليس من الضروري حين يكره المرء عدوه ان يخافه وانما خوف الاعداء داب الضعفاء ، واذا خاف المرء الموت فذلك ضعفه . والضعيف يخاف الوجود كما يخاف الفناء ، لانه لا يقوى على هذا ولا ذاك .

العقاد

● من الامل ما هو كراهة للحاضر ومغامرة على المستقبل ، هذا امل لا خير فيه ، وهو كثروة المفلس التي يرجوها من ورقة اليانصيب . ومن الامل ما هو ايمان بالحاضر وايمان بالمستقبل وهذا هو الامل الصحيح ، وهو كثروة صاحب الكنز الذي يحمل مفتاحه ويطمئن اليه .

العقاد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحضارة العربية

تأليف: الدكتور شكري محمد عياد

سلسلة المكتبة الثقافية العدد ١٧٢

بقلم: سلوى بهجت عبد الحميد

حول هذا الموضوع العريض ، البعيد الاغوار ، الذي يغطي زهاء خمسة عشر قرنا من الزمان ، وفي وقت لا نحيا فيه حضارتنا كما ينبغي ، ونعيش بكيانين منفصلين ، روحي شرقي ، ومادي غربي ، حتى اصيبت الامة العربية بازدواج في الشخصية — يجب ان تخلص منه سريعا — يناقش المؤلف مفهوم الحضارة العربية ، فيبدأ بذكر تعريف « ول ديورانت » لكلمة الحضارة على انها نظام اجتماعي يعين الانسان على الزيادة من انتاجه الثقافي ، ولكن هذا التعريف لا يوضح بالدقة مدلول النظام الاجتماعي ، الى جانب ان الزيادة في الانتاج الثقافي ربما تكون زيادة في الحكم فحسب .

والكاتب يرى ان التعريف الذي جاء في دائرة المعارف البريطانية يوضح معنى النظام الاجتماعي الذي يكون الحضارة « **ان الحضارة هي طريقة حياة جماعة انسانية فهي تتضمن كل انماط السلوك المكتسبة التي يتبعها المرء ويتوقعها سائر افراد جماعته ويقرونها** » .. ومن ثم فان الحضارة تدل على اشكال معينة تتبعها جماعة انسانية مترابطة لتنظيم العلاقات بين افرادها في مجالات الحياة المختلفة .

واذ يحدد الكاتب هنا معنى الحضارة ، يرى انه لا بد من تحديد معنى كلمة « العربية » .

وفي تتبع « جواد علي » لتسمية « العرب » في النصوص الاشورية والبابلية واليونانية القديمة، يجد ان كلمة « عربي » كانت تستعمل بمعنى الاعراب او البدو، اما «ارض العرب» فتدل على منطقة واسعة تمتد من اقليم **آشور وبابل** حتى حدود مصر . اما « برنارد لويس » فيتتبع مفهوم كلمة « عربي » في العصور التاريخية المختلفة فيجد انها :

١ ــ في عصر الفتوح العربية كانت كلمة ((عربي)) تطلق على مؤسس هذه الدولة .

٢ ــ عندما تحولت الدولة العربية الى دولة اسلامية مختلفة الاجناس استعملت كلمة عربي لتدل على طبيعة الحضارة التي انتجها هذا الخليط .

٣ ــ بامتزاج الجنس العربي بسكان الاقاليم المفتوحة ، ودخول شعوبها تحت سيطرة عناصر اجنبية ظهرت تسمية((اولاد العرب)) لتدل على هذه الشعوب ، كما استردتكلمة ((عربي)) معناها الاصلي وهو ((بدوي)) .

٤ ــ اما المعنى القومي لكلمة ((عربي)) فقد ظهر في العصر الحديث متاثرا بمفاهيم الحضارة الغربية .

★★★

في الفصل الثاني يتحدث المولف عن اهم مكونات الحضارة العربية الا وهو الدين ، وترجع اهميته الى ان وحدة الجماعة العربية لم تظهر الا مع ظهور الاسلام . فالاسلام كما يتضح لنا من قواعده الخمس ، ايمان وعمل وعقيدة وسلوك .

وتفسر الكتابات الغربية الاسلام على انه اذعان وانقياد ، وهذا التفسير فيه اجحاف وتشويه للاسلام الذي يدعو الى محاولة فهم القوانين الالهية والعيش بمقتضاها .

وهناك تصوران للموقف الانساني عند الغربيين ، الاول ، ان التراجيديا اليونانية تصور الانسان في صراع مع قدرته الالهية والثاني ، ان المسيحية تنظر الى الانسان على انه ميراث للخطيئة الاولى التي هي مصدر كل شر على الارض، اما الاسلام فيرى ان الانسان مهيأ للخير والشر على السواء ، وان الخطيئة لا تورث ، فلا دخل للابناء بذنوب ابائهم ، وعلى هذا فان الحياة الارضية ما هي الا مزيج من الخير والشر .

فاذا ما انتقلنا الى التشريع في الاسلام نجد انه يلتصق بالحياة والواقع ، ففي مجال التشريع الجنائي يقر الاسلام مبدأ القصاص ولكنه بجانبه يقر مبدأ العفو .

وقد ارتبط تشريع الجهاد في الاسلام ارتباطا وثيقا بظروف الدعوة وما واجهته من حروب عدوانية . ومن ثم فقد كان تشريع الجهاد يهدف الى ازالة العقبات التي وقفت في طريق الدعوة سلميا .

اما بالنسبة للقواعد العامة التي اوضحها التشريع الاسلامي ، فقد ادت ظروف الحياة العملية المتطورة الى التوسع في تفاصيل هذه القواعد ، وهكذا وجدت الخلافات طريقها وافسحت لنفسها مكانا في مقدمة التفكير الديني عند العرب ، ومع هذا فهي ثمرة التطور الطبيعي للفكر العربي ، ونتيجة استجابته لسائر العوامل الحضارية.

★★★

ولو القينا نظرة على اشكال المجتمع العربي وطبقاته قبل الاسلام لوجدنا انه مجتمع قبلي تغلب عليه البداوة ، ورابطة الدم هي اساس تكوين جماعاته . وخير مثال عليه مجتمع قريش وما بلغه من تنظيم وعظم ثروة ، فلما عرف لعرب الاسلام حلت رابطة الايمان المشترك محل الروابط القبلية ، وحلت الفضائل الشخصية محل التفاخر بالاحساب ، والتناحر على البر، والتكافل لضمان الحياة الكريمة لكل فرد .. محل التناحر بالحق وبالباطل ، والتباهي بكثرة المال والاولاد . ص (٨)

ثم في عهد الخليفة الثالث عثمان ، يأخذ المجتمع في التطور نحو تحقيق سيادة الارستقراطية القريشية اكثر من تحقيق المساواة القائمة على وحدة العقيدة . وبدخول غير العرب في الاسلام عرف المجتمع العربي « الموالي » و« المولدون » وظهر شعب عربي جديد يعيش معظمه في المدن والقرى ، ومن هنا نشأ صراع ثقافي تمثل في حركة « الشعوبية » التي بدأت بالدعوة الى التسوية بين العرب وغير العرب . على قمة هذا المجتمع الجديد ، الى جانب الطبقة الحاكمة ظهرت طبقة من التجار الاغنياء في المدن الكبرى ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والى هذه الطبقات النامية يجب ان نعزو الفصل الاكبر في التقدم السريع الذي تحقق خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين في شتى مجالات الحياة المادية والفكرية . وجدت هذه البرجوازية العربية دولة مركزية مستقلة فمكنها ذلك من التطور السريع ، ولكنها لم تلبث ان اصطدمت بالنظم الادارية المركزية فاخذت في التفكك والانحدار،بل ان البرجوازية العربية عملت بدون قصد على اضعاف الحكومة المركزية عن طريقين اثنين:

التهرب من دفع الضرائب مما ادى الى ارباك ميزانية الدولة ، وتعميق الهوة بين الفقر والغنى ، فظهر الصراع الطبقي في اعنف صوره . ويمكن القول بان الصراع الطبقي كان من اهم اسباب انحلال الدولة العباسية مثلا .

وفي هذه الحقبة من الانحدار كان ثمة منظمتان شعبيتان تعاظمت اهميتهما مع التحول المستمر لجهاز الحكم الى اداة للاستغلال وهما الطوائف الحرفية ، وفرق الصوفية ، وقد استطاعت هاتان المنظمتان ان تحافظا على القوة الشعبية خلال قرون طويلة.

نظام الحكم :

لم يعرف المجتمع العربي الحكومة بمعناها الصحيح الا بعد دخوله في الاسلام لكنها لم تكن حكومة دينية مقومها الاساسي هو ارتباطها بطبقة كهنوتية متميزة ، قدر ما كانت حكومة دينية موجهة بالاوامر الالهية المتمثلة في القرآن والسنة ، التي تناولت الكليات دون الجزئيات وتركت للمسلمين ان يدبروا الكثير من شؤونهم بانفسهم .

وكان من اهم المشاكل التي واجهت المسلمين بعد موت الرسول مشكلة رئاسة المجتمع واقامة حكومة ، لكن المشكلة عندهم انحصرت في اختيار خليفة يتولى قيادتهم متبعين في ذلك نفس الطريقة التي كانت تعرفها القبائل العربية ، وهي انتخاب الاقدر على تحمل المسؤولية . ولكن تغير ظروف المجتمع العربي في هذه الفترة كان سببا في تغيير نظام الانتخاب بالنسبة الى الخليفة الثاني عمر الذي رشحه ابو بكر خليفة من بعده ، وما لبث هذا الترشيح ان ثبت بالموافقة العامة ، ثم يعين **عمر** بدوره مجلسا من سبعة من كبار الصحابة مهمتهم اختيار واحد من بينهم للخلافة ،كما كلف صحابيا اخر بمراقبة عمل ذلك المجلس .

وعندما تتغير ظروف المجتمع العربي مرة اخرى وتتحول الخلافة الى ملكية تورث تستمر البيعة معمولا بها في تولية الملوك ، ومع انها استحالت اجراء شكليا محضا ، فقد بقيت علامة على النظرة العربية الاسلامية الى الحكم باعتباره « اتفاقا » بين الحاكم والمحكومين (ص ٥١) .

★★★

الادب والفن :

كان الفن التشكيلي مجهولا عند العرب قبل الاسلام ، اذ لم يعرف العرب سوى فن الكلمة . فلا شيء كالكلمة يستطيع ان يعبر عن روعة الانسان امام الكون متمثلا في تلك الصحراء الشاسعة المليئة بالايقاعات وان دل ذلك على شيء فانما يدل على نزعة العرب الطبيعية نحو التجديد .

عرف العرب الشعر فنا من فنون الكلمة ، وكان الشاعر يتمتع بمنزلة اجتماعية رفيعة ، فهو لسان القبيلة المنافح عنها لكنه مع ذلك لم ينس وجدانه الذاتي .

لم يعرف الشعر العربي الشكل الملحمي ولا الشكل الدرامي حتى العصر الحديث ولكن النثر العربي ملىء بالقصص الدينية والشعبية وقصص الحب . على ان ما قدم من الادب الفصيح من القصص ضئيل بالقياس الى ما قدمه الادب الشعبي (ص ٦٧) .

اما الفن التشكيلي فقد ابتعد عنه المسلمون الاوائل خشية ان يكون في ممارسته تذكير بصناعة الاصنام ومن هنا كانت غلبة الطابع الزخرفي عليه .

ولم يكن للعرب تاريخ في العمارة ، لكنهم تعلموا اساليب العمارة وانماطها من القبط والبيزنطيين والفرس .

التفكير العلمي :

ولا يستطيع انسان ما ان ينكر فضل العرب على تقدم العلوم الطبيعية في اوروبا الحديثة ، فهم اول من شق الطريق الى المنهج التجريبي . كذلك فان فضلهم لا ينكر في صياغة المنهج العلمي الاستقرائي وفي تحويلهم سير التفكير العلمي من الاتجاه التأملي الذي وضعه فيه اليونان الى اتجاه اخر اكثر التصاقا بالاساليب العملية .

لقد قدم العرب الى الانسانية رهطا من العلماء الافذاذ في كافة مجالات العلم نذكر منهم : جابر بن حيان، والخوارزمي ، والحسن بن الهيثم وابو بكر الرازي وابن سينا وابن خلدون وغيرهم ممن كان لهم فضل الريادة وانارة الطريق امام اجيال تلت .

بين الماضي والمستقبل :

وعن مفهوم العروبة في العصر الحديث يشير المؤلف الى الاتساع الذي دخل على هذا المفهوم ليشمل كل الاجناس وكل الحضارات ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فهي تشمل شعوبا في كل منها بقايا من حضارة قديمة ، ومع ذلك فلها وحدتها الحضارية التي تحقق التفاهم بين افرادها.

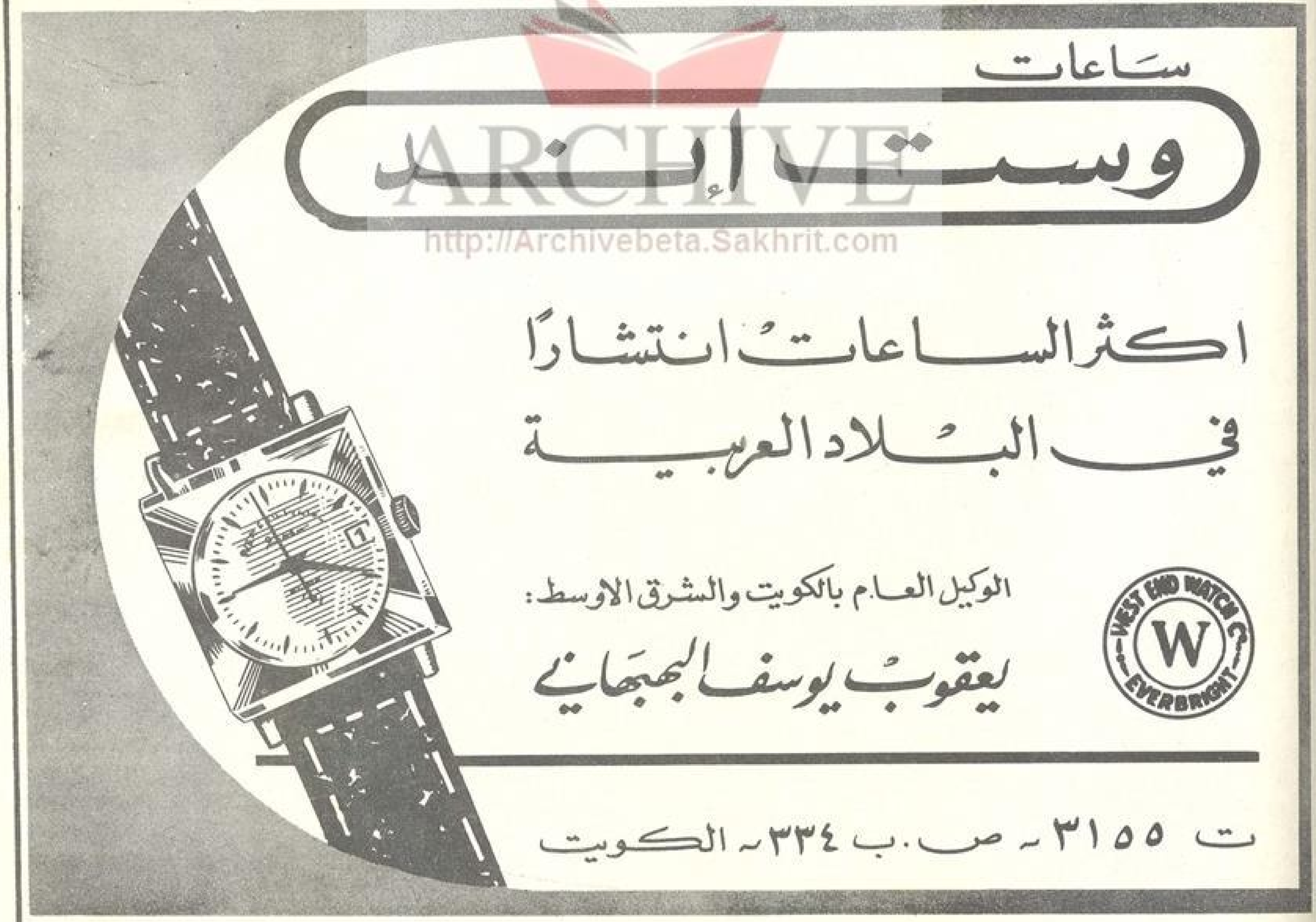
وقد يزعم بعض المخدوعين او المخادعين ان عصر النهضة العربية بدأ ببداية عصر الاستعمار الغربي دون ان ينتبهوا الى حقيقة انه من المستحيل ان ينهض مغلوب على امره.

لقد بدأت النهضةالعربية حين بدأ العرب يمسكون مصيرهم بايديهم (ص ٩٠) ولم يكن عصر الاستغمار في تاريخ العرب الا صدمة نبهتهم الى الواقع الذي كادوا ينسونه .

ويشرح المؤلف تأثير هذه الصدمة على ادبائنا المعاصرين فيقول انه كان اعجابا بالحضارة الاوروبية ممزوجا بالخوف من ان يفقد الشعب فضائله القومية في الاتصال بهذه الحضارة .

والادب العربي الحديث يزخر بصورة البطل المثقف الذي يذهب الى اوروبا فيسيطر عليه هناك الاحساس بالغربة امام حضارتها فاذا ما تشرب هذه الحضارة وعاد ثانية الى وطنه وجد نفسه غريبا مرة اخرى .

ويختم الدكتور عياد كتابه بقوله ان الحضارة العربية لم تولد بعد ولكنها في المخاض . وسيأتي اليوم الذي يستطيع الانسان العربي فيه ان يستأنف مجد ماضيه العريق ليؤدي في عالم اليوم نفس الدور الذي نهض له في العالم القديم وهو تحطيم السدود بين الحضارات والشعوب.



فى الدّاخلُ والخَارج



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



ما اجمل اليوم .. هواؤه كذكرى
مسافر ــ شمسه دافئة .. الضجيج
في الخارج كأنه يصدر عن مذياع اذ
تذاع احدى السيمفونيات .. الصمت
في الداخل كأنه الحوار بين عينين مذ
يبدأ اللقاء بينهما .

.. شاب عريض المنكبين ..
له قصة .. عيناه جميلتـــان الا ان
الاعياء صبغهما بلون كريه .. ولولا
قوة الشباب .. لتبينت في وجهـــه
تجاعيد كثيرة .. انفه الكبير شامخ
يتحدى شيئا مجهولا ، ينزلق من تحت
حاجبين الى ما قبل شفته العليا ..
فيتكور بقبح حول دائرتي منخريه
الواسعين .. وعلى العموم فجسمه
يغري بالنظر لمدة لحظة على الاقل .

يحملق في الكأس امامـــــه
بشغف .. يبتسم .. يخاطب نفسه
.. يخاطب الكأس .. يخـــاطب
قصيدة .. او يستعيد ذكرى حدث ..
يمشي وسط الغرفة .. او ينحدر ..
وقيمة الزمن بقدر وغرة الخمرة .

ــ هناك في البعيد ..
في رأس عالم صغير ،
واحد من العوالم العديدة
يزرع في عالمي الصغير ..
جذع نشيدة ..
حتى اذا جاء غد
تبزغ حول غصنه ورود
يقطر منها الخمر كالذهب
ولا عجب ..
الا تصدقون؟.. يخاطب كل شيء حوله
وحق صوت فيروز
أبعاده ، جماله
أعماقه ، حقيقته ..
وحق كل مضمون يحيطه النغم
وكل جبهة شريفة
تنز من عروقها الدماء
والالم .
وكل معروق اليدين
حين يرفض التهم .

وهو ينهض ، يكرر ما يقول بلا
ملل ، تدخل عليه والدته ، محاولة ان
تشاركه عالمه .. وهو لا يمانـــــع
احيانا .. يبتسم بامتعاض ..

ــ كلا .. ليس لغيرها هنا وجود
نعم ، كانت هنا منذ القدم
زماننا هذا يطفىء الحياة في نعم
أقصد انه يجب ان تطفأ الحياة في نعم!

يملأ الكأس من جديد .. تبدأ
الرعشة في يده .. حبات صغيرة من
العرق فوق جبينه .. وهي امتداد
للمعنى في داخله .

ــ امنيتي زرعتها .. سفحت جهدي
كله من أجلها .
ولست أدري انني زرعت بذرة البصل
يضوع منها اليأس .. يا رائحة البصل

يشرب .. يندلق بعض مـــن
الخمرة على صدره .. يرتعش ..
ويضحك بقوة ، يرفع الكـــأس ..
يلاصقه لانفه .. يخاطبه :

ــ وكلما حسبت انني نسيت
دغدغتني ..
من أجل ان يضج في جلدي شعور
لا .. لست واحدا من الذين يعملون
بالنسيان
فانت حينما تحل في عالمي القصي
تحيي كل ميت الذكرى
وكل ذكرى ميته .

يزاول الشراب من جديـــد ..
وكأنه يمضغ الجرعـــــة .. فهو
يتلذذ بها .. تسأله والدته .. من ان
هذا يكفي .. فيثور .. وكأن النقاش
حول الوقت ..

ــ اوامر كثيرة اوامرك
كل زمان .. اينما ذهبت
القى من اوامر البشر
ولم يحل بعد موعد الصلاة

« فتؤكد له .. بانها لم تحدثه
شيئا عن الصلاة »

ــ لا غبار .. بل كان واجبا عليك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان تحني صابئا الى الصواب
وهل بقي لدينا غير هذه الصلاه

★★★

يدخل المسجد .. ويؤم المصلين

— **الله أكبر .. واركعوا خشوع**
هبوا املأوا النفس ضياء ودموع
ألا قاتل الله النفوس
حين تغتال النفوس عطفها بين الضلوع

يثور المصلون .. تقطع الصلاه .. تتوالى كلمات الاستغفار .. يحمل على الايدي خارج المسجد .. رائحة الخمرة تصدر من فمه وملابسه .. يخاطب احد الذين يحملونه ..

— **اقسم انني توضـأت ..وانني نظيف**
— **بالله كف . .لا تدغدغ جانبي**
فانني اثور .. كذلـك الشعور في جوانبي يثور .

الامام

الهواء ساكن .. الرطوبة تملأ الاماكن .. فيبدو الناس غرقى بالعرق .. الكلمات والاحاسيس جميعها رطبة الصورة مؤذية .. التقزز يفيض على الوجوه والحركات .. الناس تخرج من المسجد بعد انتهاء الصلاة ..

يقف الامام .. بجسمه النحيل وصوته الهادىء في أغلب الاحيان .. او حين يخطب من فوق المنبر .. فهو يصرخ وكأنه يريد ان يملأ كلماتـه حقيقة .. والعباءة يلبسهـا في المناسبات .. عيناه بارزتـان بروزا فظيعا .. أما انفه المتكور ذو المنخرين الواسعين .. فهو يتحرك حركـة عجيبة اثناء الخطابة وكأنه قلم الامام يضع الفواصل والنقاط على صفحـة المأمومين .. بعد كل جملة مفيدة . وبالتالي فانت تشعر بلذة كوميديـة وقورة لذلك .. (يرد على تحيات الناس) .

— **مساء الخير**
— **أهـلا**
— **عم مساء ايها الشيخ**
— **بارك الله مساءك والجميع**
يا لنفسي تمتلىء افراحا
حين القى منكم احدا
فانتمو اناس طيبون
حتما طيبون .

احد الناس يخاطب الامام :

— **شكرا فانت خير الى الابد .**

يتجه الامام الى بيته ..

وهو كثيرا ما يتأفف .. كأن يسأل

— **شيخ .. أو ضوءا حين نسبح في بحر**
وصلاة اذ يروح الفكر باشياء اخر
وصوابا ان يفش انسان بشر
وحلالا ان نبع ماء المطر .
ام حراما قتل انسان كفر .

قيمة الظروف كبيرة جـدا .. وقد تكون بلا حدود .. واللاشيء او الشيء الصغير جـدا .. يصبح ذا أهمية حينمـا تبرزه بعض الظروف معرفة بسيطة ومعلومات لا يستطيع الكثيرون انتقادها لضحالتهم الفكرية .. وحاجة ملحة .

كل هذه ظروف تجعل من أي انسان مهما .. اما الحاجة ففي الحي مسجد يحتاج لامامة .. وصاحبنـا رجل توفرت به الشروط الموضوعية وقد ذكرتها .. بالاضافة الى كونـه رجلا محترما بشهادة الجميع .. هذا جزء من القضية اما الجزء الاخر .. فهذا الرجل يستطيع ان يقول جملا مفيدة على الطريقة النحويـة .. وبالاضافة الى كونه نظيفا .. فجمله المفيدة تؤدي الى نتائج حاسمة ما ان يرغب .

الناس تستفيد ، فهم يسألونه عن امور دينهم .. وهو لطيف وبالتالي يساعدهم ، كـأن يسعى لتوظيف أحدهم .

بعض الناس يحمل نفسيـة نحاسية متينة لا ينفذ منها قطرة معروف وكأن هذا المعروف أعاد خلقه مـن جديد ، او ان الانسان الذي ادى له الخدمة ، اله بمرتبـة بشر او بشر بمرتبة اله .

منذ زمن حين كان هذا الشاب في عوز ، كانت السماء عبارة عن قفل كبير ضاع مفتاحه الوحيـد في كرش لاحد الحيوانات المنقرضة .. الارض مدته كرأس أجره من تحت قدمه .. الهواء عبارة عن ثاني اكسيد الكربون والماء هيدروجين فقط .. هذا على وجه التشبيه ، اذ كانت قضبتـه معقدة .

وصاحبنا الامام كـان في عز لمعانـه .. كالزجاج يعكس حلول المشاكل المستحيلة . والامور جاءت على هذه الصورة . فالامام قد خلص الشاب كما خلص اوديب اهل مدينة طيبة من ابي الهول .

منذ زمن كان عم الشاب على علاقة بالامام .. وبعض الصداقات قوية .. وبعضها قوي جدا .. وعلى زمن الصداقة توفي والد الشاب .. فاوصى العم صديقـه الامام خيرا بالشاب .. وتمت الوصية بشكـل ايجابي اذ أمن العم عند الامام شيء نافع في وقت الحاجة .

الحياة صعبة ومعقدة والناس كذلك .. والانسان يجهل الكثـير وحتى جوانب من نفسه .. وينسى الكثير وحتى نفسه ولا بد من عمليات التذكير .. اما عن طريق اللغة ، او عن طريق الظروف ، ومنذ ذلك الزمن الى هذا الزمن ، مر زمن طويـل ، الصدف كثيرة وهي تسبب معجزات كذلك ومآس .. وذلك العم الجليل لم ينبه الشاب عن الوصية بشيء ، ولا اعرف ان كان ذلك نتيجة للصدفة ام حاجة في نفس يعقوب .

الام مسكينة ، فقـد فقـدت بصرها اثر عملية جراحية ، وهنـاك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابن صغير .. وهناك صاحبنا وهو شاب جدا .. يحتاج للقاء مع انسانة ارتضاها لنفسه كما ارتضته .

والظروف تسبق الاحداث فتؤثر فيها .. والد الفتاة له مطالب ، والشاب له افكار تتنافى وافكار الامام ، والامام انسان معرض للنسيان .. يلتقي الشاب بعد خروجه من المسجد :

— **مشينة افعالك العديدة تلك**
ها انت من جديد ترفض
الاذعان للاله
تكبر في نفسك ان تركع صلاة

يرد الشاب عليه بأن الصلاة هي كل علاقة تتعامل من خلالها مع انسان .. وأن الاشياء ليس كما تتصورها .

— **بل انها كما أرى**
ماثلة في سيرتك
موغلة في عيشتك
وأنت ترفض التصحيح
والملاحظة .
مفرورة نفسيتك
الى الابد .
بكل ما يشين
وكل ما يهين

يندهش الشاب ، والانسان معرض للدهشة .. فتعلو وجهه ملامح تجعل منه صورة طبق الاصل من عمه .. والقرابة لها تأثير والامام انسان قابل للنسيان حتى وسط الظروف التي تذكر الانسان .. يذهب الشاب ، اما السماء فدائما يضيع مفتاحها في طيات الانسان .

اللص

الحي مظلم جدا .. والليل كعادته يحمل بين ثناياه اشياء جديدة كالصباح وغيره .. فمن هذه الاشياء ما يأتي على شكل خبر لحادثة او رواية لحلم .. الليل يخفي الاشياء جميعها وكأنه يقفل ذكر حقيقة وجودها .. وهو بالتالي يجعل من الاحتمال شيئا ضعيفا بلا سيطرة على الذهن دائما .

يداه قويتان وذكيتان رغم ان الصدفة تلعب من اجل نصيبه دورا هائلا فهو لم يفشل . وكأنها — اي الصدفة — اتخذت لنفسها مكانا ما في انفه الكبير البشع .. تخلق فيه القوة لاشتمام مواطن الامام .

الانسان الذي نذر من نفسه مسؤولا عن نفسه منذ العري والجوع .. والذي ينفي اكثر القواعد بداهة كأن يستملك شيئا هو ملك لاخر عن طريق اخذه بصورة متمردة يسمى لص . وهو الان يخرج من بيته .. يسير بهدوء من الخارج لانه حذر . انه قلق كل القلق .. خشية ان يلقب باللص من قبل المجتمع .. انه سيتسلم هذا اللقب بلا اختيار ، ومع انه يدرك بانه كونه يسرق فهو يقوم بعمل لص .. الا ان اللقب تسمية مطلقة غير قابلة للاستثناء . بينما شعوره حينما يسرق .. صادق ومخلص .. أنه يسرق لانه بحاجة وقد اختار الليل لانه حرم فرصة النهار .. وهو يدرك اللقب المناسب للناس الذين حرموه فرصة النهار .. لكنه لا يستطيع تلقيبهم بذلك وهو ايضا لا يسرق الا من انسان يملك المقدرة على تحمل ما يفقده من مال .. فهو اذا ليس مجحفا بحقه انسانيا .. وهو يسرق لان الجميع قد سرقوا منه امكانية البروز بينهم بلا تعرض لاكثر القواعد بداهة.

اذا فهو يصارع من اجل البروز على الاقل خارج مستوى الحيوان .. هذا الانسان حذر .. وهو يحدد المكان الذي سيزوره ليلا بالنهار .. ولكن الافكار تحدث بجو ليلي .. اذ انها تتركب وتتعمق بمعزل عن انظار الناس .. بالذهن .. بالصمت .. وذهن الانسان ليل يقفل حقيقة ما يجري بداخله .

هناك بيت صغير وقذر ، بجانب بيت كبير وجميل .. وهذا البيت هو الوسيلة الوحيدة للبيت الكبير .. انها تكاد تكون حقيقة ، او قاعدة .. فمن خلال الصغير ، امكانية وصول للكبير ومن خلال القذارة تتوفر امكانية لمس الجمال .

صاحبنا الان وسط الامكانية .. وامامه المحاولة الاخيرة للمس الجمال .. اقصد الغاية التي من اجلها حضر أو المال .

يقف متأملا .. يسترجع كل الافكار القديمة ، في كل مرة يسرق ، يبدأ من الاول .. يوضح السبب امام الله والتاريخ ونفسه .. انه يحلل الواقعة التي ستحدث والتي ستكون على شكل خبر ..

— **بسمائنا الزرقاء**
أو كانت رمادية
وبقلب والدتي
وأنفاس الحياة
وبكل .. جميع .. ذرات الحياة
والاله .. يكتب قصة الحب
يؤرخ أصل امنية
اقسم .. انني أود أن أحب
كل ما يوده البشر
عدا كوني أشك
وما استطعت أن ابرر
الذي يبررون
ولم يبرروا .. بل يدعون .
انني اريد والاناس
يكرهون أن أريد
يرفضون أن أشاء
اليس ذلك الذي اقوله
ألم .. أم أنه غباء ؟
لقد بدأت أسرق البشر
أموالهم .. وكل ما يصلح من لباسهم

وان بدا لي مفريا طعامهم
بدأت أسرق الجميع
مذ بلغت سن الجوع
سن الامنيات
مذ ذلك اليوم ، يوم كان
ملبسي عتيق
وكان ليس لي رفيق
حتى الطريق ..
يرفضني من فوقه الطريق

أحجاره تلكم ابهام القدم
جدرانه تصفق وفي وجهي أكف
حتى الصغار عملوا أن يكرهوا
الشيء القذر
وكنت في الواقع غير ذلك
القذر ..
عدا كوني أعيش
فخيرت ارادتي .. وصورة الطريق
فكان كل رأس حائط الطريق
وكل سطح من سطوح الاغنياء
لي ممر
الى جيوب الاثرياء لي ممر
ذلكم الذين ينكرون حكمة الزكاة
ويدعون انها محض افتراء
أيما محض افتراء

يمشي بين الغرف .. وهو يعلم اين يذهب .. هناك غرفة ، يكاد يكون بابها مفتوحا وهي مغرية جدا اذ ان ضوءا احمر يتسرب من خصاص الباب الى الخارج يرسم علامة استفهام حول الغرفة كانطباع بالنسبة لمن يراه .. وخصوصا بالنسبة لصاحبنا .. فهو فنان يحب الغامض والجميل .. هناك فتاة تنام على سريرها .. .جميلة وتنام في منتهى الجمال .. وصاحبنا يثور لاول وهلة .. يتمرد لاول انطباع .. لكنه مسالم بحكم التزامه بمثل أعلى .. لذلك فهو يصارع نفسه بقسوة .. وهو يتألم .. ولكنه يعيش لذة الالم..
يتأمل الفتاة في منتهى الحب :

— صدرك لو يضمه صدري
لجاش بالحنين

لما سمعت غير انغام الامل
بصورة المأساة
يصبها صدري بين ما يبرز
من صدرك .. من ينابيع الغناء
يداي تعرف العزف
فهل تفرح شفاك ؟
حينما تعزف يداي ؟
فستانك الجميل خائن لمبدئه
ها أنذا اصلح الفستان
اني اكره الفستان حينما يخون
واكره الانسان حين لا يصون
عيناك حسرتان في دمي
لو كانتا ستنظران
ما أتى بي قدمي
وكم أود نظرتاهما .. غير أن
السطح ما كان في الطريق
والباب مستحيل .. الف مستحيل
عزيزتي التي تنامين
الصباح يقترب
عفوا ساغتصب من مال والدك
ولن أمد ، هذه يدي
لاستلب من زينتك
وكم يطيب لي غدا مساء ان اجيء
لو لن يكون ها هنا بعض الجنود
كي اصلح الفستان حيث انه يخون
فالجنود لا يصلحون اي فستان
ذلكم الجنود .

يدخل الغرفة.. الغرفة الاخرى تغرق بالظلام ولست ادري كف تأكد من أن غايته ستكون بهذه الغرفة ولا أدري كيف تم له الحصول على ما يريد .. لكنه خرج من البيت الكبير الى البيت الصغير .. الى الشارع وقد غنم .. فهو يبدو راضيا عن الصدفة .. وصل بيته وبعد لحظات يأتي الصباح ، ليخرج من بيتهم وبنفس الملابس .. يأخذ ابناء جاره الى المدرسة .. اذ انه عين من نفسه مسؤولا عن هذه المهمة .

المسؤول

رجل في منتهى الوسامة .. وهي شرط اساسي يجب ان يتوفر في مسؤول — لباسه نظيف — وكذلك تفكيره — عيناه تلمعان بالذكاء .. اساريره منبسطة كل الوقت .. ضحكته موسيقية حتى أنفه الكبير لم يسيء لمضمون الوسامة .. وكان حجمه جاء مناسبا .

الفراش يجلس على كرسي .. يمد رجله بصورة تدل على الملل والملل

مرض يترتب على الاحساس باللافائدة .. باللا قيمة او اللا نتيجة .. الغبار يتسرب من الباب الخارجي .. يلتحم مع الهواء المكيف.. فيغطي احاسيسه بطبقة من السلبية .

وجوده على هذا الكرسي جميعه يعني الانتظار .. لقد فرض عليه الانتظار من اجل ان ينفذ بلا ارادته امرا بسيطا وتافها .

يسمح المؤشر رقم ٤ يشير .. ينهض متجها للمصعد الكهربائي .. يدخل المكتب .. المسؤول — على المكتب بوجهه الباسم ، حوله لفيف من أصدقائه .. يقف الفراش ينتظر :

— كان جميلا ذلك اليوم
هواؤه .. احداثه .. وصورته

ينظر للفراش . ويبتسم.. ثم يخاطب اصدقاءه :

— ان تنطلق بلا قيود .. قمة الحياة
ان لا يكون ما يحد من مشيئتك
ذروة الجمال
هناك تسفح الاجسام منعنائها
وتستريح .
وهاهنا ياكل من أعصابنا السام

يتحرك الفراش ليريح رجله اليمنى من الارتكاز عليها ، يلتفت الصحاب نحوه .. يبتسم الفراش بصورة الغبار .

— احضر لنا عصير

يتحرك الفراش بعد ان ابتسم وقبل ان يخرج سمع صوتا :

— عصير برتقال ... مهلا
وحين لا تجد .. ! اي شيء .. احضر اي شيء ..

يستعمل الفراش المصعد في ذهابه وايابه .. يدخل وقد حمل عددا من علب العصير .. اثنتان برتقال .. وثلاث عصير تفاح والسادسة عصير طماطم وقد علق على العلب شيء من الصدا .. يضع العلب على طبلية صغيرة ..

— اما سمعتم قصة المدير .. ؟ ثم يتوقف عن الكلام .

يخرج الفراش من اجل ان يحضر مفتاحا لفتح العلب .. لم يستعمل المفتاح الذي في احد ادراج المكتب ، لانه شعر بضرورة خروجه .. اذ ان مستواه الاجتماعي لا يؤهله القدرة لتحمل الغبار الممزوج بالهواء المكيف ، وسماع قصة المدير — وان كانت عنده الرغبة .. الا ان المسؤول الموظف .. اقصد الموظف المسؤول .. توقف عن سرد القصة شاحذا ذكاء الفراش بالتصرف .. ولقد تصرف بصورة ارفع من مستواه كفراش .. خرج ليحضر المفتاح من مكان اخر .. دخل من جديد .. الضحكات تخفت وبعض الايدي توضع على الكروش .. بغية التخفيف من اثر الضحك . .ابتسم صاحبنا مشاركة للموقف .. وبصورة هادئة واثقة من عدم وجود المبرر .. الا ان الواجب يحتمه الذوق .

— الناس في بلادنا مباركون
وطيبون
جميعهم تملأهم نوازع الكرم
تحضهم على المسير
وحيث اننا لنا مصير
يبعد عن اذهاننا
فان قلة منا تصارع الملل
وتزرع الامل .

— اما سمعتم هذه القصيدة
قد كتبت على الطريقة الجديدة
(يقصد الابيات التي تلاها)
يضحك.. وهو يلقي استحسان الجميع

يوزع الفراش العلب بعد ان فتحها..

يرن جرس التلفون بالقرب منه .. يدفع به الى رئيسه.. يرفع السماعة

— آلو .. أهلا
اهلا حبيبتي
كيف ها هناك كل شيء
أقصد في البيت
اليس من ملل..جميل..يضحك
كيف حال الوالدة
غدا ستنظرين ما اشتريت لك
وتحكمين .. أي ذوق أمتلك
ماذا ..
لن اخبرك .. مفاجأة
تكهني واستخدميخيالك البعيد
اجل .. اجل
بكل تأكيد
الى لقاء في غد .. بباي ..

يضع سماعة التلفون .. يمد يده على العلبة .. يلاحظ انها عصير طماطم .. وان الصدا يعلوها .. غضب بقوة .

— أنت يا غبي يا قذر
الا ترى الصدأ
الست تعلم ان ذلك الشيء
يعرف بالصدأ
وأنه مقيت وأنه مضر
مستوى تفكيركم منحط
مستوى اخلاقكم ينحط
فراش ليس الا ..
ليس الا ..

يأخذ العلبة .. وعلى وجهه الملامح المناسبة للموقف .. من حيث كونه فراش ..

ردود الافعال تبدأ في البيت اما مكان العمل فانه يضيق بالانفعالات الانسانية والانسان على نفسه بصير .. وحينما يضيع الفرصة .. فانه مسؤول عنها بعمق .. اما حينما تصطدم فرصتان في نفس الوقت فان عليه ان يختار واحدة وبسرعة.. الموقف لا يرحم مستويات التفكير .. انه يتطلب التفاعل السريع من قبل البشر .. على افتراض انهم بنفس الكفاءة وصاحبنا الفراش ..مسؤول عن كرامته .. ولكنه يترك فرصة الكرامة .. ويتشبث بفرص العمل.. اذ انه من الاستحالة التشبث بكلاهما بالنسبة له .. ولو انه ترك فرصة العمل لتجشم مسؤولية اكثر تعقيدا من الكرامة وهي الافواه المفتوحة تنتظر كعلامات الاستفهام .. انه يراها كلما مر بمثل هذا الموقف ..

خرج من المكتب وقد عرف ان هذا يعرف بالصدأ وانه مضر وانه مقيت ..

المؤشر رقم (٤) يشير .. يتجه نحو المصعد الكهربائي .. يدخل

— ضم هذه الاوراق
وامسح الغرفة من جديد
حاسب على الاوراق

الا تدرون .. يخاطب اصحابه: لقد بدأت اكتب الشعر .. يخرجون.

احمد

ان تكون مخطئا فهذه مشكلة .. اما ان تكون اكبر المخطئين فهذه قضية .. ان تصيب فهذا النصر .. ولكن حينما تكون احسن من يصيب فهذا استثناء فظيع ..

ولكنك انسان كأحمد حينماتكون هذه الجوانب تفرز الجمال الاكثر ..

انها جميلة فائقة الجمال .. ولكنها اكثر جمالا للعلاقة الاسرية .. ولعلاقتها معه ، وكزوجة اخ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شخصيتها .. روحها .. قلبها .. هذه اجوانب تفرز الجمال الاكثر .. النوع من الجمال الذي تلمســـه في الداخل فتغرق نفس احمد بالحب .. وتفعمها الرغبة :

— انسانتي التي ترفض
ان تصير لي ..
نفسي تشب .. تحترق ..
يصول فيها الحب ،
يحفر ارضها
يدوس كل يأس
لكنها تصر
وأنني احبها

لقد انفجر حب احمد لها بنفس الزمن لجميع الاسباب وعلى جميع المستويات ومن الناس من يتمثل انسانا معينا .. ومن ثم يلتقي بهذا الانسان فيكتشفه للوهلة الاولى وبجميع ابعاده ..

ومن ينكر ان الرغبة عند احمد قسوة .. وان دموع القهر عنـــد حبيبته قسوة :

— يا سخف اعماقي
ويا قذارة الاحساس
يا عذري الكبير .
انسانتي اغتصبت منها
دمعتان .. لؤلؤتان .. بذرتان للندم
حملهما صدري
دفق عليها دمي
اثمرتا ألم .. يا عذري الكبير

وليس بمستحيل ان يشعر احمد بلذة الجمر داخل غرفة مكيفة .. فكل منهما معنى قائم بذاته ..

— اكاد ان احمل في نفسي
جميع امنياتكم ..
وانني شريف
ازرع الشرف بساحتي
وكل صرخة لها صدى
بشارعي وغرفتي ..

رحلتنا ممضة .. طويلة .. لكنها مقدسة
وبيتنا عتيق يملأ الجمال تربته
رحلتنا ان نبدأ الطريق من جديد
سحقا لذاك القديم .. حيث يهترىء
وذلك الجديد حيث لا جديد .. فيه
لا أمل ..
يا قبلتي على حبيبتها .. تعمقي
وقصتي تسللي الى مسامع
الجميع
ولو تشعبت فروعك الطوال
فانني لها
يا دافئي الكبير .

واحمد انسان في غاية القبح .. كل شيء في جسمه غير عادي .. وغير مناسب .. ولكنك تحبه بفيض الاشياء الجميلة والحقيقة في داخله حتى ان انفه الكبير البشع .. وكل عضو في وجهه يتحرك باخلاص ونشـــاط .. عاكسا الصور الجميلة .. احاسيس .. افكار .. امنيات — الم — شك . قلق — وصدق وثورة .. فلا تملك الا ان تحبه بارتياح .

اما الضجيج والصمت في الداخل والخارج فسمفونية اللقاء بين اثنين .. مذ يبدا الحوار .

في جميع المكتبات الآن
الطبعة الثانية من كتاب
أدباء الكويت في قرنين
الجزء الأول
تأليف
خالد سعود الزيد
• طبعة انيقة
• مزيدة ومنقحة
• غلاف بالألوان
ثمن النسخة
نصف دينار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com